رواية موسى وفرعون

الباحث التاريخي

محمد هشام الشربيني



بطاقة فهرسة

مكتبة جزيرة الورد

اسم الكتاب : رواية موسى وفرعون

المؤلف : محمد هشام الشربيني

رقم الإيداع :

الطبعة الأولى ٢٠١٦

مكتبة جزيرة الورد

القاهرة : ٤ ميدان حليم خلف بنك فيصل

ش ٢٦ يوليو من ميدان الأوبرا ت : ٠١٠٠٠٠٠٤٠٤٦ - ٢٧٨٧٧٥٧٤

المقدمة

هذه تجربة في عرض القصص الديني التاريخي في قالب روائي، والرواية هنا تعتمد علي مصدرين تاريخيين ثابتين هما آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية الصحيحة ونستخدمهما بنصهما في المواضع المناسبة، كما أن الرواية لا تحاول المضاهاة بين التاريخ الديني والتاريخ الوضعي، فلن نبحث مثلا عن ماهية شخصية فرعون موسي بين الفراعنة المعروفين في تاريخ مصر القديمة مهما كانت الأدلة قوية ،لأن هذه المضاهاة المتكررة في عدة قصص تصرف الإنتباه والإهتمام عن المغزي الالهي من هذه القصة إلى امور فرعية لا تهم ولا تؤثر في مضمون القصة.

لذلك تركز الرواية علي المغزي الديني والأخلاقي والتاريخي والسلوكي، كذلك ما يستجد من تفاصيل وما يتكشف من تفسيرات جديدة للآيات القرآنية مما يوضح معان وجوانب عديدة في القصة التاريخية. وهذه الرواية أرجو أن تكون الأولي في سلسلة روايات ترصد تاريخ بني إسرائيل أخطر سلالة في التاريخ البشري، حيث ترصد هذه الرواية قصة نبي الله موسي- عليه السلام- أول أنبياء بني إسرائيل خاصة في موقفه الفاصل في مواجهة فرعون مصر وما نتج عنه في حياة بني إسرائيل بل وحياة شعب مصر في مواجهة فرعون وآله وملأه وجنوده بل وحاشيته من أقطاب بني إسرائيل وتنتهي الرواية مع بدء رحلة بني إسرائيل مع نبي الله موسي- عليه السلام- بعد عبور البحر وتكشف هذه الرواية حقيقة بني إسرائيل والعلاقة بين كبارهم وعامتهم كما تروي آيات القرآن الكريم، وكذلك مدي قوة ايمانهم ولماذا امر الله بخروجهم من مصر في هذا التوقيت وكذلك حقيقة علاقة عامة بني إسرائيل بالشعب المصري، وأخيرًا ظروف ظهور السامري بين بني إسرائيل ودوره في مختلف المواقف والأحداث خاصة سرقة بني إسرائيل لحلي وجواهر المصريين قبل خروجهم من مصر، اما أجزاء الرواية فيما بين الآيات والأحاديث وهي افتراضية بالطبع فلن تتعارض مع السياق العام للأحداث.

أدعو الله أن يوفقني في تقديم رواية متكاملة الأحداث محققة تاريخيا توضح أمور هامة لم يدركها احد من قبل، وقد تكون للبعض غريبة، ولكن سندها آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية الصحيحة.

الباحث التاريخي
محمد هشام الشربيني

المدخل

بعد بحث دقيق لإختيار المنهج التاريخي المناسب لهذا الشكل المستحدث من روايات التاريخ الديني ، وجدت ان منهج فلسفة التأريخ او التاريخ الفلسفي هو الأنسب من كافة الوجوه .

وهذاالمنهج يقوم علي تحليل الوقائع التاريخية المؤكدة لإستنتاج الوقائع غير التاريخية التي تربط الوقائع المؤكدة ، بحيث لا تتعارض هذه الوقائع مع السياق التاريخي المؤكد . ولمزيد من الإيضاح فاننا في هذا المنهج ننطلق من واقعة مؤكدة مجردة ونبدأ في تحليلها لنستنتج مقدماتها ودوافعها ثم نتائجها المتوقعة ، ثم ننتقل للواقعة التاريخية التالية ونطبق عليها نفس منهج الواقعة الأولي ، ثم نربطها بالواقعة السابقة لها لكي نضع الإحتمالات المنطقية لسياقات الأحداث المفترضة التي تربط الواقعتين التاريخيتين ولا نجزم أيها السياق الأكثر منطقية الا عندما ننتقل للواقعة التاريخية الثالثة والتي تستبعد بحكم تفاصيلها ونتائج تحليلهاالعديد من الإحتمالات لما حدث بين الواقعة الأولى والثانية فيضيق نطاق الإختيار، ونحدد كذلك إحتمالات ما حدث بين الواقعة الثانية والثالثة فتأتي الواقعة الرابعة لتحسم الإحتمال الأرجح لما حدث بين الأولي والثانية وتحدد اكثر احتمالات ماحدث بين فيما بين الثانية والثالثة ،فنجد ان ماحدث بين الثالثة والرابعة يكاد يكون محسوماً تبعاً للتسلسل المنطقي للأحداث بدراسة الزمان وطبيعة المكان وهكذا يسير المنهج في شكل هرمي لنصل في النهاية الى عمل تتناغم احداثه

التاريخية مع المستنتجة في سياق روائي يناسب طبيعة العمل الذي هو أقرب الى الملحمية .

وبطبيعة الحال فانه كلما كانت الوقائع التاريخية المستند اليها صادقة وواضحة وليس بها شبهة تحيز او هوى او غرض كلما كان إستنتاج ما بينها أقرب الي المنطقية ، وقد كان مصدرنا التاريخي هناهو القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه والذي تعهد المولى عز وجل بحفظه بعد ان فشل البشر في حفظ الكتب الثلاث السابقة عليه.. ومعه السنة النبوية المشرفة والمؤكدة والتي اجزم ان المولى عز وجل قد حفظها هي ايضاً لأنها جزء مكمل وهام من الذكر المحفوظ . وعندما تتوافر كل هذه الصفات في مصادرك التاريخية فلا شك ان توقعاتك للأحداث غير التاريخية سيكون اقرب الى المنطقية.. اذا ما وفقك الله ، فهو الموفق دائماً .

الفصل الأول : الزلزال وتوابعه

في أيامنا هذه تعددت مصادر الأخبار بل وتواصلت طوال اليوم، ولا يستطيع الإنسان المتحضر أن يعزل نفسه عن العالم ويعزف عن متابعة الأخبار، رغم أن الكثير من مصادر هذه الأخبار مغرضة أو موجهة بل وكاذبة ولكننا لا نعدم المصادر المحققة الأخبار، في غالبيتها مؤسفة بل ومخيفة لأنها تتأرجح بين الثورات والأزمات المتنوعة وسلوكيات المتطرفين الإرهابية وبشائر الحروب .

مئات القتلي والجرحى يومياً خاصة في مناطق الشرق الأوسط وافريقيا وبعض مناطق آسيا، وكأن هناك من يدبر ويخطط بدهاء شيطاني لتدمير هذه المناطق وافناء اكبر عدد من ساكنيها ولكن من؟ ولماذا؟ وهل سينجح؟ طرحت هذه التساؤلات علي صديق لي مثقف تاريخيا وسياسيا فكان رده صامتاً حيث مد لي يده بكتابين احدهما عن الماسونية العالمية والآخر بعنوان «بروتوكولات حكماء صهيون» فنظرت له متسائلاً فقال لي: في هذين الكتابين الإجابات عن كل اسئلتك بل وعلي اسئلة اخري قد تعن لك مستقبلاً في هذا الشأن. لم يكونا كبيرين هذين الكتابين ومن شدة معاناتي التهمتهما في أسبوع واحد، التهمتهما وانا مذهول غير مصدق ما اقرأ خاصة عن الماسونية والتي عرفت انها جهاز العمليات السري لبني إسرائيل، بني إسرائيل ؟ ام دولة إسرائيل ؟ وعرفت ما الذي تخطط له واهدافها التي تسعي لتحقيقها وكذلك الصورة النهائية التي تريد أن تضع العالم فيها قبل نهاية الحياة، واكد كتاب البروتوكولات هذه النوايا بل ووضع الخطة المؤكدة – من وجهة نظرهم - لتحقيق هذه الأهداف من خلال بروتوكولات هذا الكتاب الأربع والعشرين.

وازدادت حيرتي وتضخم هلعي مما قرأت، صحيح انني تأكدت من أن وراء كل مصائب العالم بلا استثناء، خطط الماسونية التي تنفذها من خلال جيش من العملاء المتنوعين حول العالم قد تذهل حين تعرف بعضهم..رؤوساء دول وملوك وعلماء بل وفنانين ورياضيين، عملاء من كل تخصص خاصة الإعلام ولكن منذ متى والماسونية تنفذ مخططاتها هذه؟ منذ ميلاد السيد المسيح عليه السلام، وما هي الجذور التاريخية لها؟

قال صديقي المثقف: منذ وجِدَ بنو إسرائيل في مصر منذ آلاف من السنين لا يعرف عددها على وجه الدقة الا الله، وطمعت في صديقي اكثر وسألته وماهي قصتهم في مصر؟ فعنفني صديقي بحب وقال لي: هل تريد كل شئ سهل هكذا؟ اجتهد واقرأ لتعرف قصتهم في مصر من مختلف جوانبها وحقيقة علاقتهم بشعب مصر، هل كان يضطهدهم حقا؟ وإن كان، فلماذا ؟وماذا حدث بدقة بين نبي الله موسي عليه السلام وفرعون؟ ومن هم السحرة الذين واجهوا نبي الله؟ وما قصة السامري ودوره في هذه الأحداث.. اسئلة عديدة تدور في ذهن المتأمل في هذه الأحداث، ادرسها وتدبر فيها لعلك تقدم لنا رواية متكاملة عن حقيقة هذه الأحداث.

استهوتني الفكرة وقررت أن اخوض التجربة بالفعل وقلت لصديقي انني سأبحث في حقيقة قصة أبناء نبي الله يعقوب عليه السلام في مصر فقال لي: اتفقنا انك ستبحث عن قصة بني إسرائيل وليس أبناء يعقوب عليه السلام، فقلت مندهشا: أليس يعقوب عليه السلام هو إسرائيل؟ فقال مؤكدا: لا بالطبع هذه احدي اكاذيبهم التي نجحوا في اشاعتها لغرض خفي في نفسهم يتكامل مع ويؤكد صحة تصورنا عن سياستهم في الحياة..انها قصة اسطورية إدَّعوها علي المولي عز وجل وسطروها في توراتهم المزورة بالكامل والمتداولة حاليا. فقلت: نعم في العهد القديم، فقال: لا، التوراة المتداولة حاليا تمثل الأسفار الثلاث الأولي فقط من العهد القديم المكون من ست وأربعين سفرا، فقلت: وباقي الأسفار قال: سطروا فيها تاريخ بني إسرائيل بعد نزول التوراة وحتي ميلاد السيد المسيح عليه السلام، سطروها كما يحلو لهم وبما يحقق أهداف بني إسرائيل قلت: لنعُد ليعقوب عليه السلام وإسرائيل فقال صديقي: مصدر هذا الخطأ الشائع هو سفر التكوين فيما بين الإصحاحين السابع والعشرين والرابع والثلاثين، إن اردت أن ترجع اليها لتعرف هذه المهزلة التي من خلالها ربطوا بين اسم يعقوب عليه السلام واسم إسرائيل. ولكن القرآن الكريم ينفي هذا الازدواج فلم يرد ذكر نبي في القرآن بإسمين ابداً، والقرآن الكريم ذكر يعقوب عليه السلام بإسمه في ستة عشرة موضعًا اهمها سورة يوسف،

وذَكَرَ اسم إسرائيل في موضعين منفصلين، فقلت مستفسرا ما علاقة بني إسرائيل اذن بيعقوب عليه السلام؟ قال: هم أبناء رجل صالح اسمه إسرائيل هو أهم من انتهي اليه نسل كل أبناء يعقوب عليه السلام اي انه أحد احفاد يعقوب عليه السلام من نسل احد أبناء يعقوب عليه السلام وكان أبناءه هم العدد الأكبر في هذه السلالة بالإضافة الي سلالة ابن آخر من أبناء يعقوب عليه السلام وهو لاوي والذي كان منهم نبي الله موسى عليه السلام، وقد سمي بنو إسرائيل السفر الثالث من أسفار توراتهم المزورة سفر اللاويين.

خيم علي الصمت للحظات وادركت صعوبة المهمة التي كنت انوي التصدي لها، لما أدركته من تزوير مؤكد في المصدر الأساسي لعملي وهو التوراة وصارحت صديقي بذلك فقال لي: لو اعتمدت علي التوراة في اي شئ فلن تصل لنتيجة صادقة قلت: علام اعتمد إذن لأصل لنتيجة صادقة ؟، قال: القرآن الكريم والأحاديث الصحيحة ثم التوقعات المنطقية لما حدث في الفترات التي لم يعرض لها القرآن ولا الأحاديث وأخيرًا التاريخ الوضعي في المواضع التي يستأثر بها، جَمّع كل الآيات التي تحدثت عن بني إسرائيل في مصر ومواجهة موسي عليه السلام لفرعون والسحرة ولتكن نهاية أحداث الرواية هي خروج بني إسرائيل من مصر وغرق فرعون وجنوده.

عادت لي الرغبة مرة اخري في خوض هذه التجربة الممتعة والمرهقة في ذات الوقت خاصة مع وجود مصادر مؤكدة لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها، اضافة إلى اختبار جاد لجهدي في ربط الأحداث والوصول لنتائج جديدة . واتفق معي صديقي على أن التقي به بعد أن تكتمل الصورة في ذهني لنتبادل الرأي، وقد ارتحت بالفعل لهذه الفكرة وبدأت اجمع الآيات والأحاديث الصحيحة واعيد ترتيبها حسب تسلسل الأحداث وقررت أن تكون البداية من ملابسات قرار الفرعون بتذبيح كل المواليد الذكور من بني إسرائيل فقد كان القرار بمثابة الزلزال في حياة بني إسرائيل وكان لابد له من توابع مؤثرة علي الحياة العامة في مصر.

لم يكن العمل سهلا علي الإطلاق ولكنه كان يستحق المثابرة والجهد وكنت كلما احسست بالجهد وزين لي الشيطان أن اريح نفسي من هذا العناء الذي يراه الرجيم غير مبرر، استعذت بالله منه كما علمنا القرآن الكريم وقضيت فترة راحة واعادة شحن للطاقة في اي موقع علي ضفاف النيل الخالد، وكم سألته عن حقيقة ما حدث فهو الشاهد العيان الوحيد الباقي علي ما حدث، وهو الذي حمل الوليد موسي عليه السلام إلى قصر الفرعون بل انه الذي تحول إلى دم كاحدي آيات موسي عليه السلام لآل فرعون دون جدوي، ولكنه كان كتوماً ولم يقل لي سوي اجتهد وستصل للحقيقة، سيهديك الله إن شاء لأنه لا يُضيع اجر من احسن عملاً. وكما سألت النيل، سألت خليج السويس من اين عبرك بنو إسرائيل إلى سيناء ؟واين غرق فرعون وجنوده ؟ وكيف انفلقت؟ ولكن اجابته كانت اكثر تحديدا من نهر النيل، فقد قال لي: وما الذي سيفيدك إن عرفت اجابات هذه الاسئلة؟ لماذا تشتت ذهنك في تساؤلات غير مجدية؟ المهم العظة مما حدث. وصَدَّقت علي رأيه وواصلت الجهد حتي توصلت بعد عدة شهور لتصور دقيق لما حدث دعمته بما هو معروف عن مصر القديمة وشعبها عبر مختلف مراحل حياته والذي اجمعت عليه المراجع حتي الغربية منها، وحددت موعدا مع صديقي كما اتفقنا لأروي له القصة كاملة كما تصورتها واخبرني بها القرآن الكريم والأحاديث الصحيحة والمعلومات التاريخية المؤكدة وأخيراً منطق الأحداث المستمد ايضا من المراجع التي اعتمدت عليها.

جلس صديقي امامي وهو في قمة التركيز يستمع إلى ما سأقرأه عليه :

بداية استمع معي ياصديقي لهذه الآية الكريمة من سورة القصص والتي تعلن عن بدء رواية هذه القصة والتي هي من القصص التاريخي الديني التي تلاها القرآن الكريم والتي هي احسن القصص بنص الآية الكريمة من سورة يوسف :

﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٣﴾ ﴾[١].

---

(١)يوسف.

ولكن لماذا يقصص الله على رسوله الكريم ﷺ وعلينا هذه القصص ؟ هل القرآن الكريم كتاب تاريخ وقصص ؟ الإجابة نعم، القرآن الكريم نزل لكل الأهداف ولكل هدف عظة وغرض، فما هو الغرض من القصص القرآني ؟ توضح ذلك الآيات التالية من سورة الأعراف :

﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِ إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ أَوۡ تَتۡرُكۡهُ يَلۡهَثۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۚ فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَآءَ مَثَلًا ٱلۡقَوۡمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمۡ كَانُواْ يَظۡلِمُونَ ﴿١٧٧﴾ ﴾[1].

المعنى واضح، احد اهداف القصص تحفيز من يُكَذِّبون بآيات الله على التفكر في مغزى كل قصة من هذه القصص. ومن اغراض القصص ايضاً تثبيت العقيدة في صدور المؤمنين بما حدث لمن سبقوهم بالإيمان من اهل الكتب السماوية الأوائل وعلي رأسهم بنو إسرائيل، لذلك كانت هذه الآية الكريمة في فاتحة سورة القصص :

﴿ نَتۡلُواْ عَلَيۡكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرۡعَوۡنَ بِٱلۡحَقِّ لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٣﴾ ﴾[2].

ويجب أن نتوقف امام امرين في هذه الآية الكريمة :

الأول قول المولي عز وجل « مِن نَّبَإِ » والتساؤل حول حرف الجر « مِن » والذي يعني الجزئية، أي أن ماسيروى في هذه السورة هو جزء او اجزاء من نبأ موسى وفرعون، لأن باقي القصص كانت الصيغة فيها « نبأ » كما جاء في الآية التي قرأناها لتونا من سورة الأعراف : (وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا)

(١)الأعراف.
(٢)القصص.

وكما جاء في سورة الكهف عن قصة اهل الكهف : ﴿ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ ﴾. اذن يمكننا أن نؤكد أن ماجاء في سورة القصص هو « مِن نَّبَإِ » قصة موسى وفرعون، بداية القصة ومواقفها التي تتناسب مع السياق العام ومع موضوع سورة القصص، وباقي اجزاء النبأ وردت في سور اخرى اهمها طه وغافر والشعراء كما سنرى في سياق روايتنا، وكلها سور مكية.

إما الأمر الآخر الذي يجب علينا أن نتوقف عنده هو تعبير «بِالْحَقِّ »، والذي يستخدم عادة في القصص كما جاء في قصة اهل الكهف ﴿ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ﴾، والحق دائماً يأتي ليصحح ويواجه باطلاً في نفس الأمر، اذن ما جاء من نبأ موسى وفرعون هو دحض لباطل ذكر عن هذه القصة، وهذه القصة لم ترد قبل القرآن الا في التوراة ..كتاب بني إسرائيل الذي اكد المولى عز وجل في العديد من الآيات انهم حرفوه وبدلوه، اذن هذه القصة تهدف ايضاً لإنصاف نبيي الله موسى وهارون عليهما السلام وكشف الحقائق ..بل ولإنصاف شعب مصر في زمن هذا الفرعون الطاغية الفريد من نوعه بين حكام مصر القديمة كما سنرى.

ونعود الآن لبداية أحداث روايتنا فأقول : كانت ليلة مقمرة من ليالي العاصمة المصرية القديمة في عام من اعوام الرخاء والإستقرار التي كانت مصر تعيشها في ظل حكم هذا الفرعون القوي، المستمر منذ ما يربو علي العقد من السنوات عاشت مصر خلالها في هدوء بكافة اطياف قاطنيها من شعب مصر وسلالة نبي الله يعقوب من بني إسرائيل وغيرهم من بقايا سلالة ابن نبي الله يعقوب« لاوي » كما اوضحنا، تلك السلالة التي تعيش منذ ما يقرب من ثلاثة قرون في احدي مدن مصر جنوبي العاصمة وعلى نهر النيل، منذ جاء جدهم الأكبر يعقوب عليه السلام مع أبناءه لمصر في زمن تولي احد أبناءه وزارة مصر ألا وهو يوسف عليه السلام وزير ملك مصر في زمن من الأزمان النادرة التي تعرضت مصر خلالها لإحتلال، فأحضر اباه واخوته وعائلاتهم ليستقروا في بلد الرخاء وانقاذا لهم من صعوبة الحياة في الصحراء.

﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيۡهِ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدٗاۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗاۖ وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ إِذۡ أَخۡرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجۡنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلۡبَدۡوِ مِنۢ بَعۡدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بَيۡنِي وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٞ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ۝١٠٠ ﴾ [١].

ورغم استقلال مصر بعد طرد المحتل الا أن بني إسرائيل ظلوا في مصر دون اعتراض من شعب مصر والذي كان معتادا علي احتواء اجناس اجنبية عديدة استقرت في مصر بسبب ضيق موارد الحياة في بلادها الأصلية..الأمر إذن لم يكن مرفوضا من المصريين نظراً لما كانت تنعم به مصر من عقيدة التوحيد والتي سادت تاريخها ايا كان اسم هذا الإله الواحد رع او امون او اتون، المهم انه اله واحد وقد ساعد علي ثبات عقيدة التوحيد ثبات عقيدة الإيمان بالبعث والحساب في الحياة الآخرة وهو ما اكده كتاب الموتي المقدس عند المصريين القدماء..اي أن هذا الإله هو الذي سيحاسب الإنسان عند البعث فلا يمكن أن يكون هناك اكثر من إله، اي أن الإيمان بالبعث الذي تمسك به المصريون القدماء عبر العصور كان يحول دون تعدد الآلهة في الزمن الواحد، والشاهد على ذلك، الصراع الكبير الذي قسم شعب مصر الى طائفتين حين ظهر الإله آتون في مواجهة الإله آمون، ذلك الصراع الذي انتهى بعودة سيطرة الإله امون.كانت هذه حالة وحيدة في تاريخ مصر نتجت عن وجود الهين في احدى الفترات .لم يكن تعدد الآلهة اذن موجوداً في مصر بخلاف الواقعة التي اشرنا اليها. لذلك كانت مصر في زمن هذه الأحداث موحدة بإله وايا كان اسمه وهذه العقيدة كانت متوافقة مع عقيدة بني إسرائيل الجنس الآخر الذي كان مستقر في مدينة واحدة منذ قرون قليلة كما ذكرنا من قبل خاصة وان مصر كانت موحدة الإله ايا كان اسمه وكان بنو إسرائيل ايضا موحدين دون اسم محدد لإلههم هذا، ولقد كان شعب مصر يقبل وافدين وثنيين بالفعل ولم يحاول اجبارهم علي عبادة الهه فكيف يقبل الوثنيين ويضطهد الموحدين مثله؟

---

(١)يوسف.

﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ ﴾[١].

اذن عاش بنو إسرائيل مع المصريين في توافق عقائدي وبالتالي فلا مبرر لإضطهاد المصريين كشعب لبني إسرائيل المنكمشين في مدينة واحدة بشكل أساسي وكان اغلبهم يعيش في ظروف معيشية صعبة بل ومتدنية قياسا بجيرانهم ولكن افرادا منهم تفرقوا في مختلف المدن المصرية لينهلوا من العلوم والمعارف المصرية المتنوعة. وان لم يفلتوا من سيطرة وتحكم وسُخْرَة صفوة بني إسرائيل لصالح فرعون.

استوقفني صديقي مفكرا فيما قرأته ثم قال: لقد قدمت دليلا قاطعا علي أن مصر لم تكن وثنية ابدا فلم تعرف اكثر من اله في فترة واحدة مثلما كان هناك اللات والعزي ومناة وغيرها في امة واحدة فقلت: نعم فكل الأقوام التي رفضت دعوات انبياءها تحدثت عن آلهتها بصيغة الجمع وليس اله واحد كما حدث مثلاً لنبي الله إبراهيم ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾ ﴾[٢].

فقال: هذا صحيح اذن شعب مصر كان موحد وبنو إسرائيل كانوا موحدين فلا مبرر لإضطهادهم خاصة وانهم كانوا متقوقعين لا خطر منهم. قلت: هذا صحيح بل هناك دليل آخر هام علي حسن التعامل بين شعب مصر وبني إسرائيل سأعرضه في موضعه. فقال صديقي: قدمت اذن دليلاً أوليا ايضا علي أن الشعب المصري لم يضطهد او يستعبد بني إسرائيل، عظيم نعود لتلك الليلة المقمرة ماذا حدث فيها؟ قلت: قبل أن أصل لتلك الليلة الرهيبة اريد أن اطرح تساؤلاً: اذا لم يكن المصريون يضطهدون بني إسرائيل فلماذا عاش الغالبية من بني إسرائيل في ضنك وفقر وسخرة ؟ لقد كان عامة بني إسرائيل مجبرين علي امتهان صفة عمال البناء من صناعة الطوب وتقطيع حجارة البناء مقابل اجور زهيدة وظروف عمل غير انسانية،

---

(١) البقرة.
(٢) الأنعام.

فلصالح من كان هذا الوضع المهين لبني إسرائيل؟ من الذي سخرهم بما يشبه الإستعباد؟ هل هو فرعون مصر ام حاشيته؟ والإجابة فيما حدث في تلك الليلة، ففي تلك الليلة استيقظ سكان عاصمة مصر المجاورون لمدينة عامة بني إسرائيل علي صراخ وعويل ونحيب صادر من نساء هذه المدينة، وعرف المصريون أن جنود هامان قد داهموا فجأة المدينة الساكنة وبحثوا عن كل المواليد الذكور وذبحوهم فورا، وبالطبع حاول الآباء والأمهات حماية مواليدهم ولكن الجنود تعاملوا معهم بقسوة بل وقتلوا من حاول المقاومة ولم يكتفوا بذلك بل ورصدوا كل ذات حمل وحددوا مكان إقامتها لأنهم سيقتلون وليدها إن كان ذكرا. مذبحة رهيبة نفذها الجنود بأوامر الفرعون. لقد اصدر الفرعون حكما ينفذ من يومه بقتل كل طفل ذكر يولد لبني إسرائيل او علي وجه الدقة لعامة بني إسرائيل ؟ فلماذا اصدر الفرعون هذا الحكم القاسي وما الهدف منه ومَن وراءه؟ لم يعهد المصريون من هذا الفرعون العظيم ظلماً أو تجبراً ولم يعرفوا بعد سبباً لهذا الحكم الذي طال قوماً موحدين مُسَخَرين ولا يشكلون خطراً علي مصر. صحيح انهم لاحظوا بعض التغيرات في سلوكيات الفرعون في الآونة الأخيرة ولكنها لم تكن تشكل خطراً . كان السر فيما حدث في قصر الفرعون في تلك الليلة بل ومن قبلها، يكمن فيما حدث خارج قصر الفرعون في الشهر السابق علي اصدار هذا الحكم وعلي وجه التحديد في اجتماعات وجهاء بني إسرائيل السرية والذي كان بينهم شاب اسمه قارون حديث الثراء في ذلك الوقت واكبر مستغل بل ومستعبد لقومه ومسخرهم في اعمال البناء التي كان يكلفه بها الفرعون وكأنه مقاول بناء من الباطن بلغة عصرنا، بالإضافة لإستحياء نساء بني إسرائيل كجواري ووصيفات بل وخادمات في قصر فرعون وقصور سائر آل فرعون بل وكبار جنوده .وقبل أن نكشف ما حدث في هذه الاجتماعات السرية يجب أن نعود للوراء لعدة قرون حين استقرت اسرة نبي الله يعقوب عليه السلام في مصر تحت حماية ابنهم نبي الله يوسف عليه السلام والذي كان وزير ملك مصرِ المحتلة في ذلك الوقت وكان نبي الله يعقوب عليه السلام لا يفتأ يُذَكّر أبناءه بوعد الله لنبيه وجدهم ابراهيم:

﴿ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾ ﴾ .

ثم مالبث أن طرد المصريون هذا المحتل وعاد الفراعنة ليحكموا مصر بقوتهم فيئس أبناء يعقوب عليه السلام من تحقق الوعد لإستحالة أن يطيح نبي منهم بحكم اي فرعون لقوة الفراعنة الطاغية وجبروت جيش مصر فعاشت سلالة يعقوب عليه السلام متقوقعة في مدينتها محتفظة بعلاقات طيبة مع الشعب المصري تحت راية التوحيد ولكن الحكماء منهم كانوا متأكدين أن وعد الله لابد أن يتحقق وكانوا يعرفون البشائر المؤذنة بمولد هذا النبي وتوارثوا هذه المعلومات على مدى اجيالهم التي اقتصرت بعد قرون في غالبية افرادها علي نسل رجل صالح من سلالة يعقوب عليه السلام وهو إسرائيل والذي عاش مع أبناءه أبناء إسرائيل سنوات عديدة وهو الذي ورد ذكره في قوله تعالى :

﴿ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسۡرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ مِن قَبۡلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوۡرَىٰةُۗ قُلۡ فَأۡتُواْ بِٱلتَّوۡرَىٰةِ فَٱتۡلُوهَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٩٣﴾ ﴾(١).

توضح الآية الكريمة أن هذا الرجل الصالح كان قد حرم على نفسه انواع معينة من الطعام، ويوضح الحديث الشريف تفاصيل هذا التحريم وسببه ونتائجه فقد ورد في الحديث:

أن أعرابيًّا أتى ابنَ عبَّاسٍ فقالَ : إنِّي جعَلتُ امرأتي حرامًا قالَ ليسَتْ عليكَ بِحرامٍ قالَ أرأيتَ قولَ اللَّهِ تعالى: ﴿ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسۡرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ ﴾ الآيةَ فقالَ ابنُ عبَّاسٍ: أنَّ إسرائيلَ كانَ بهِ عِرقُ النِّساءِ فجَعلَ علَى نفسِهِ إن شفاهُ اللَّهُ أن لا يأكُلَ العُروقَ من كلِّ شيءٍ، وليسَت بحرامٍ يعني علَى هذهِ الأمَّةِ(٢).

---

(١)آل عمران.
(٢)الراوي : يوسف بن ماهك المكي المحدث : ابن حجر العسقلاني المصدر : فتح الباري لابن حجر الصفحة أو الرقم 9/281 :خلاصة حكم المحدث : إسناده صحيح.

ولكن الله بارك في ذرية إسرائيل احفاد الأنبياء ومعهم ذرية لاوي ابن يعقوب لأنه سيخرج منها النبي الموعود، فاسم نبي الله موسى عليه السلام هو موسى بن عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم :

﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴿٤٠﴾ ﴾[1].

لم تستمر حياة بني يعقوب عليه السلام ومن بعدهم بني إسرائيل علي حال الرغد التي كانت عليها في ايام يوسف ولكنها كانت حياة لا بأس بها مع المصريين الا أن فئة من بني إسرائيل لم تقبل بهذا الوضع لنفسها فبدأت تستغل علمها الإلهي الموروث عن يعقوب ويوسف عليهما السلام وما حباها الله به من ذكاء ودهاء وقدرة علي النفاق والمداهنة وبدأوا يتسربون إلى قصور الحكام ويتقربون منهم لتحقيق مكاسب شخصية وخططوا أن يسخروا لها العامة منهم بالقوة والإجبار المستمد من سلطة الفرعون، وبدأوا يبحثون عن سبيل للوصول لبلاط الفرعون ووجدوا ضالتهم في هامان وزير الفرعون ومسئول الأمن الداخلي في مصر، فقد كان له جنوده الخاصة به مقابل جند فرعون، وهم جيشه، وسواء جند هامان او جند فرعون كانوا من الفئات المميزة في المجتمع المصري ويدينان بالولاء التام للفرعون ثم هامان . تقرب الصفوة من بني إسرائيل من هامان ربما من خلال قائد جنده بإسلوب المصالح المشتركة والرشاوي ونشر عوامل الفساد الموهوبون فيها بالسليقة، ومن خلالهما وصلوا لفرعون ونالوا ثقته بمرور الوقت بتسخير العامة من قومهم الرجال في البناء بالأسلوب المصري الشهير والذي حقق به المصريون معجزاتهم في البناء مثل الأهرامات والمسلات والمعابد الضخمة، وقد كان هذا الفرعون مشهور بالإنشاءات الضخمة التي تمجده وتبرز انجازاته كما وصفه القرآن الكريم في سورة الفجر بقوله: ﴿ وَفِرۡعَوۡنَ ذِي ٱلۡأَوۡتَادِ ﴿١٠﴾ ﴾ .

كما سخّروا النساء في الخدمة في قصر الفرعون وبيوت آله والملأ من قومه .

---

(١)البقرة.

هنا استوقفني صديقي مناقشاً : قلت أن بناء الأهرامات والمعابد الشاهقة تم بالأسلوب المصري الشهير، ماذا تقصد ؟ أليس ما هو متداول من تقطيع الأحجار الضخمة ونقلها لمواقع البناء ؟ قلت له: لا، لقد اكتشف العلم الحديث أن بناء الأهرامات والمعابد الشاهقة كان بتكوين الحجر او العمود في المعبد من الطين ثم حرقه عند درجة حرارة تقارب التسعمائة درجة مئوية فيتحجر بالصورة التي نراها الان، لقد كان التصور الأول غير منطقي ولا مقبول لأسلوب نقل أحجار وأعمدة بهذه الضخامة حتي أن بعض أعداء الحضارة المصرية القديمة ادعوا مؤخراً أن قوم عاد الذين عُرفَ عنهم ضخامة الأجسام غير المسبوقة هم من بنوا الأهرامات والمعابد الفرعونية، فضحك صديقي وقال : قوم عاد عاشوا قبل عصر الأسرات وكان موطنهم منطقة ظفار في سلطنة عمان، لقد استغل المروجين تقارب أحجام قوم عاد - كما رأيناها في بقايا هياكلهم العظمية - مع أحجام مباني الفراعنة . ولكني اريد أن اعود لقصة الطين وحرقها، هل انت متأكد من هذه المعلومة ؟ انها تغير مفاهيم كثيرة . قلت : واثق تماماً ولدي الدليل العصري، والدليل الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، قال مندهشاً : وما هو قلت: القرآن الكريم، لقد ورد في الآية الثامنة والثلاثون من سورة القصص على لسان فرعون في مواجهته لنبي الله موسى عليه السلام:

﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾ (١).

قال صديقي : رائع، اوقد لي على الطين فاجعل لي صرحاً، ارتباط تلازمي بين الإيقاد على الطين وبناء صرحاً اي مبنى مرتفع وباستخدام فاء السببية، اذن هذا كان اسلوب البناء في زمن هذا الفرعون ذي الأوتاد على اقل تقدير، ولاشك انه توارثه عن اجداده .. هذا يؤكد الى حد كبير صحة المعلومة التي جئت بها . فقلت مضيفاً : كما أن توجيه الأمر لهامان خصيصاً يؤكد انه كان مسئول البناء والتشييد كما توقعت

(١)القصص.

لذلك كان هو وسيط صفوة بني إسرائيل لفرعون ليحتكروا مهنة البناء بتسخير العامة في ذلك، ولم يكن للعامة منهم حول ولا قوة سوي الرضوح لأوامر الصفوة منهم بداعي المكاسب المستقبلية حين يزداد نفوذهم .واستمرت الحياة علي هذا المنوال حتي بدأت تظهر بشائر ميلاد النبي الموعود الذي سيقضي علي حكم الفرعون الذي يعيشون في كنفه وينعمون بخيراته ولا يضمنون حال من يأتي بعده إن هلك لذلك فقدوم هذا النبي سيضر بمصالحهم ايما ضرر لذلك عليهم أن يحولوا دون ظهوره بأية وسيلة هذا ما كان يدور في اجتماعاتهم السرية وما كانوا يبحثون عن حل له . وأخيرًا تفتق ذهنهم الشيطاني عن فكرة رهيبة.

في حديث للصحابي الجليل عبد الله بن عباس قال : (تذاكر فرعون وجلساؤه ما كان الله عز وجل وعد إبراهيم ﷺ من أن يجعل في ذريته أنبياء وملوكا، فقال بعضهم : إن بني إسرائيل لينتظرون ذلك ما يشكون فيه، وقد كانوا يظنون أنه يوسف بن يعقوب عليهما الصلاة والسلام، فلما هلك قالوا : ليس هكذا كان، أن الله عز وجل وعد إبراهيم ﷺ، قال فرعون : فكيف ترون ؟ فأتمروا، واجمعوا أمرهم على أن يبعث رجالا بالشفار(السيوف والخناجر)، يطوفون في بني إسرائيل، فلا يجدون مولودا ذكرا إلا ذبحوه، ففعلوا ذلك[(١)].

كان هذا هو السبب وراء هذا القرار الرهيب من فرعون وبتدبير من صفوة بني إسرائيل الذين ضحوا بأبنائهم أو أبناء قومهم ودبروا لهم المذابح المروعة حماية لمصالحهم الشخصية. ولم يكن الصفوة وحدهم بل كان معهم هامان وزير فرعون او بالأدق مسئول الأمن الداخلي والدليل انه كان هناك جنود له بخلاف جنود فرعون وهم جيش الحروب الخارجية..ولتلاقي المصالح تعاون الصفوة مع هامان ومعهم قائد جند هامان.

(١)الراوي : عبدالله بن عباس المحدث : البوصيري المصدر : إتحاف الخيرة المهرة الصفحة أو الرقم 6/234:خلاصة حكم المحدث : إسناده صحيح.

عند هذه المرحلة استوقفني صديقي وبدا علي وجهه هدوء اثار دهشتي وقلقي قال صديقي بعد تفكير: لقد توقعت أن صفوة بني إسرائيل احاطوا بالفرعون واكتسبوا ثقته بما تعلموه من جدهم نبي الله – يعقوب – عليه السلام واستغلوا ذلك لمصلحتهم وسخَّروا العامة منهم لتحقيق مصالحهم، كما أن تعاونهم مع هامان في ذلك امر مطلوب للغاية لتوحد المصالح وضرورة استمرار هذه المصالح، وهذا منطقي لأن هذه سياستهم في كل زمان ومكان وكانت البداية من مصر، قلت: والقرآن الكريم اكد ذلك بما قاله عن قارون: ﴿إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوۡمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيۡهِمۡۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلۡعُصۡبَةِ أُوْلِي ٱلۡقُوَّةِ إِذۡ قَالَ لَهُۥ قَوۡمُهُۥ لَا تَفۡرَحۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ ٧٦﴾، وبما قال عن سلوك بني إسرائيل فيما بينهم :

﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَكُمۡ لَا تَسۡفِكُونَ دِمَآءَكُمۡ وَلَا تُخۡرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ ثُمَّ أَقۡرَرۡتُمۡ وَأَنتُمۡ تَشۡهَدُونَ ٨٤ ثُمَّ أَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ تَقۡتُلُونَ أَنفُسَكُمۡ وَتُخۡرِجُونَ فَرِيقٗا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمۡ تَظَٰهَرُونَ عَلَيۡهِم بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَإِن يَأۡتُوكُمۡ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمۡ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيۡكُمۡ إِخۡرَاجُهُمۡۚ أَفَتُؤۡمِنُونَ بِبَعۡضِ ٱلۡكِتَٰبِ وَتَكۡفُرُونَ بِبَعۡضٖۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفۡعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمۡ إِلَّا خِزۡيٞ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلۡعَذَابِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ٨٥ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا بِٱلۡأٓخِرَةِۖ فَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ٨٦﴾

أضاف صديقي: كما أن جزمك بأنهم من حرضوا فرعون واقترحوا عليه ذبح ذكور بني إسرائيل صحيح، لأنهم كرروا ذلك بعد قرابة الألف عام حين حرضوا هيرودوس حاكم فلسطين الروماني علي ذبح ذكور بني إسرائيل حتي يقضوا علي المسيح عليه السلام في الميلاد فقلت معقبا: وهذا ما دفع السيدة مريم العذراء للهرب بوليدها إلى مصر. فقال: الأمر اذن متكرر، لذلك فالمؤكد انهم من حرضوا فرعون واقترحوا عليه هذا السلوك البشع. والي متي استمرت هذه السياسة؟ وكيف وُلِدَ أنبياء الله موسي وهارون عليهما السلام في ظل هذه السياسة الدموية من فرعون؟

فواصلت الرواية قائلا: بدأ تنفيذ القرار بصرامة متناهية من جنود هامان وسالت دماء الذكور من مواليد بني إسرائيل انهارا تجري موازية لأنهار دموع الثكالى من نساء بني إسرائيل.. فكروا في الفرار ولكن إلى أين وكيف والجنود يحاصرون مدينتهم بقوة ؟

وانزعج المصريون بشدة من هذا الوضع وتعاطفوا معهم ولكن النبوءة التي أعلنوها بأنفسهم مخيفة وتبرر هذا التصرف من وجهة نظر ضعاف الإيمان، اما المؤمنون من المصريين فكانوا يعلمون أن وعد الله لابد أن يتحقق مهما احتاط البشر له ولكن لماذا يريد الله هلاك هذا الفرعون الموحد العادل المعتدل ؟ لاشك انه سيأتي في قابل ايامه بما يستحق به هذا المصير ولعل في تصرفه هذا ومحاولته منع الإرادة الإلهية الذنب الكبير الذي يستحق عليه هذا العقاب فهو لا يحمي نفسه فقط بل يحمي خلفائه ايضا، لأنه حتي اذا ولد هذا النبي الآن فهو يحتاج سنوات طويلة تمتد لعقود لكي تتحقق الإرادة الإلهية ومن غير المتوقع أن يكون الفرعون الحالي لا يزال في الحكم بل سيكون خليفته ولكن ما لم يعرفه المصريون أن شياطين بني إسرائيل اكدوا له ومعهم هامان انه المعني بهذه النبوءة لذلك لم يتردد في الأخذ بنصحهم سواء بالنسبه لشخصه او لخلفاءه واصدر حكمه الذي اثلج صدورهم.

ولكن في داخل قصر الفرعون كانت زوجة فرعون تتألم بشدة لما يحدث لبني إسرائيل ولا تجد مبررا لما يفعله فرعون، لأنه أن كان امر هذا النبي قدر الهي فلا مفر منه مهما فعل، كانت زوجة الفرعون قوية الإيمان لذلك كان ألمها شديداً ومتجدداً خاصة وان اغلب جواريها كن من فتيات بني إسرائيل واغلبهن اصيب لها ابن او اخ او قريب فكان الألم يتجدد بشكل دائم عند زوجة فرعون وزاد تعاطفها مع عامة بني إسرائيل واندهاشها من صمت صفوة بني إسرائيل علي ما يحدث لقومهم دون محاولة منهم لإنقاذهم او حتي التخفيف عنهم..لم تعرف انهم من كانوا وراء هذه المذبحة المروعة والتي ستطول كل مولود ذكر من بني إسرائيل ومن باقي سلالة يعقوب وهم أبناء لاوي .

لم تدم هذه المذابح الا سنة واحدة، بل اقل من سنة.. علي وجه التحديد تسعة اشهر من تاريخ بداية المذبحة والتي تواصلت لهذه الفترة فقط. لماذا؟ هل تراجع فرعون عن قراره؟ لا ولكن ما أن عرف حكماء وعلماء بني إسرائيل بتفصيل قرار فرعون و خلفياته وسببه حتي اصدروا امرا لكل رجالهم بالتوقف عن الإنجاب حتي تنقضي هذه الغمة ثقة منهم أن أمر الله غالب بظهور هذا النبي رغم كل احتياطات فرعون ومؤامرات اصحاب المصالح منهم الذين يتمنون عدم ظهور هذا النبي.. سيظهر بالطبع و لكن عليهم حماية انفسهم بكل السبل وليحقق الله امره بطريقته، هذه هي سياستهم منذ بدايتهم والتي تأكدت بما حدث منهم منذ عودة موسي لإنقاذهم و طوال تاريخهم كما سنري. إلتزم كل رجال بني إسرائيل بقرار حكمائهم لوقف المذبحة، و بذلك فإن اخر من ذُبِحَ من ذكور بني إسرائيل هو من تكونت نطفته يوم المذبحة ومن هنا ولد بعد تسعة أشهر فذبح لو كان ذكرا.. ثم توقفت المذبحة لتوقف الإنجاب.. مما اثار تعجب فرعون بل وغيظه من ناحية، ومن ناحية اخرى إعجاب زوجة الفرعون . وهذا السلوك الوقائي من بني إسرائيل فرضية منطقية، لأن هذا التصرف كان هو الحل لهذه الكارثة وهو يتناسب مع طبيعة بني إسرائيل و التي تأكدت عبر تاريخهم، كما انها المبرر الوحيد لتغيير قرار فرعون بالذبح سنة و العفو عام بعد ذلك، و الذي اضطر اليه بعد أن بدت بوادر الكارثة المستقبلية امام أعين صفوة بني إسرائيل ومعهم هامان وجنده، والتي تمثلت في عدة نتائج حتمية:-

اولاً : ستتهدد مصالح هذه الصفوة في ايجاد عمال بناء خلال عقود قليلة بسبب انقراض الرجال بالموت او الشيخوخة و تضاؤل عدد الأجيال التالية من الرجال القائمين بالبناء..نفس الأمر بالنسبة للنساء و عملهم في الخدمة و هو المشروع الآخر لمصالح الصفوة. يحسبون ما سيحدث بعد عقود لهم او لأولادهم وكأنهم مخلدون وسيفلتون من عقاب الله لهم لمحاولاتهم تحدي ارادته العلية

فقد قال الله عنهم في سورة البقرة : ﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ [١].

ثانياً : التوقف عن الانجاب عامة يهدد سلالة بني إسرائيل بالإنقراض في غضون قرن من الزمان علي اقصي تقدير.

لذلك اوضحوا لفرعون أن استمرار هذه السياسة سيهدد مشروعاته العمرانية التي تمجده و تخلده وكان فرعون حريص علي هذه المشروعات كل الحرص: ﴿ وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ ﴾ [٢].

فسأل فرعون : هل أوقف الذبح؟ قالوا: لا، فلا تزال البشارة بمولد هذا النبي توضح بأنه لم يولد بعد .. من هنا كان اقتراح سنة ذبح وعام عفو ، مع رصد من ولدوا في عام العفو حتي إذا اشارت البشارة بحدوث مولده تم قتل كل من ولد حتي في عام السماح وبعدها تتوقف المذابح..فوافق فرعون. ويؤكد الحديث الشريف هذه التفصيلة بقوله :

فلما أن رأوا أن الكبار في بني إسرائيل، يموتون بآجالهم، والصغار يذبحون، قالوا:أتوشكون أن تفنوا بني إسرائيل، فتصيروا إلى أن تباشروا من الأعمال والخدمة التي كانوا يكفونكم ؟ فاقتلوا عاما كل مولود ذكر، فيقل نباتهم، ودعوا عاما، فلا تقتلوا منهم أحدا فيشب الصغار، مكان من يموت من الكبار، فإنهم لن يكثروا بمن تستحيون فتخافوا مكاثرتهم إياكم ولن يفنوا بمن تقتلون فتحتاجون إليهم، فأجمعوا أمرهم على ذلك.

وبهذا عدّل حكماء بني إسرائيل الخطة بحيث تحمل النساء في النصف الثاني من سنة الذبح و حتي الربع الاول من عام العفو لكي تكون نهاية المواليد دائما نهاية عام العفو..ولا يولد واحد في سنين الذبح. ويقول الحديث الشريف : فحملت أم موسى بهارون عليهما السلام العام الذي لا يذبح فيه الغلمان فولدته علانية [٣].

---

(١)البقرة.
(٢)الفجر.
(٣)الراوي : عبدالله بن عباس المحدث : البوصيري المصدر : إتحاف الخيرة المهرة الصفحة أو الرقم 6/234:خلاصة حكم المحدث : إسناده صحيح.

وبهذا ولد هارون في عام السماح اما اخيه الذي سماه المصريون موسي فقد تعثرت ولادته والتي كانت في نهاية عام العفو، وذلك لكبر حجمه، فلم تتم الولادة إلا في الأيام الأولي لسنة الذبح ومن هنا كان الخطر من تسرب الخبر فهي لم تلد في عام السماح فلم يرصده جنود فرعون ليسجلوا اسمه وموقعه ،إذا لو ظهر فقد ولد في سنة الذبح فيذبح،من هنا كان الوحي الإلهي،فقد حارت الأم فيما تفعله بوليدهاوبجانبها اخيه الأكبر بعام هارون - وهو اسم عبري يعني الجبل - ثم اخته الشابة التي كانت تعمل ضمن جواري و خدم قصر فرعون و التي شاركت الأم في حيرتها بشأن هذا الوليد حتي انها لم تفكر في تسميته، ولعل الأخت فكرت في تسليم الوليد لجند هامان لذبحه طواعية بدلاً من أن يكتشفوا امره- وهم لابد مكتشفوه لأنه لم يعلن عن مولده حتي نهاية عام السماح كما هو منتظر.. وحين يكتشفون امره سيذبحونه و سيعاقبون الأم واهل البيت و ربما ذبحوا هارون الصغير ايضا.

وربما فكرت الأم بجدية و اقتناع في اقتراح ابنتها خوفا علي هارون وعلي انفسهم و يأسا من النجاة بهذا الوليد حياً، وحين ضاقت عليهما الدنيا بما رحبت جاء الفرج في صورة الوحي الالهي، فالفرج الإلهي لا يأتي إلا بعد أن تضيق الأحوال وتشتد ويؤكد العبد لله قوة إيمانه و ثقته في نصر الله وفرجه

﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّـةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾ ﴾[1].

وكما حدث مع عبد المطلب جد الرسول عليه الصلاة والسلام حين امره الوحي بحفر بئر زمزم المجهول مكانها فحدد له الوحي مكانها، جاء الوحي الأم ربما في المنام او حتي في غفوة، بما تفعله بهذا الوليد ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ﴾[2]

(١)البقرة.
(٢)القصص: ٧.

فنفذت الأمر الأول وارضعته ربما لعدة ايام. قال صديقي : الأمر الإلهي غريب، فمن الطبيعي أن الأم ترضع وليدها فور ولادته فلماذا كان هذا الأمر ؟ هل اهمتها الكارثة المتوقعة فتوقفت عن ارضاعه ؟ وكيف صدقت الوحي رغم انه يمكن أن يكون هاجس من الشيطان ؟ قلت : لاشك أن الوحي الإلهي له طبيعة آمرة مقنعة حتى أن النحل التزم بوحي الله ولا يزال ..فلا شك أن الوحي كان ملزماً لأم الوليد التي حتى لم تسميه بعد لشكها في استمراره في الحياة . اما عن طبيعة الأمر الإلهي بمواصلة الأم ارضاع وليدها فأعتقد أن لهذا الأمر حكمة إلهية وهي التمهيد لما سيحدث لهذا الوليد بعد ذلك فهو سيتلقي اول رضعة من ثدي امه فيعتاد عليه ولا يقبل غيره بعد ذلك وهو امر طبيعي ومعروف لأغلب المواليد، وهو يقبل أن يرضع من ثدي اخر ولكن بجانب ثدي امه الا إذا كان ثدي الام قد انقطع رزقه لسبب او لآخر.

المهم أن هذا الوليد المهدد بالذبح تلقي رضعته الأولي من ثدي امه و دام ذلك ربما لعدة ايام فازداد اعتياده عليه، ثم كان القلق بعد ذلك والخوف من جند هامان الذين كانوا يفتشون بيوت بني إسرائيل مع بداية عام الذبح ليرصدوا كل ذات حمل و متوقع أن تلد في هذا العام..إذاً كانوا سيكتشفونه.

واخذت الأخت والأم تراقبان دنوهم من منزلهم حتي اوشكوا، فجاء الوحي بالأمر الثاني :

﴿ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِيٓ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٧ ﴾ [1] فنفذت الأمر طائعة خاصة انه لم يكن امامها حل اخر. وهنا حاول الشيطان أن يقوم بدوره في تشكيك الأم في الأمر الإلهي مستفزاً مشاعر الأمومة فيها ، فقد ورد في الحديث الشريف :

فلما توارى عنها ابنها أتاها الشيطان فقالت في نفسها : ما فعلت بابني ؟ لو ذبح لبث عندي فرأيته وكفنته كان أحب إلى من أن ألقيه بيدي إلى دواب البحر وحيتانه(٢).

---

(١)القصص.

(٢)الراوي : عبدالله بن عباس المحدث : البوصيري، المصدر : إتحاف الخيرة المهرة الصفحة أو الرقم 6/234:خلاصة حكم المحدث : إسناده صحيح .

ويؤكد القرآن الكريم الواقعة بقوله :

﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ ﴾[1]، ولكنها احتاطت للأمر

« وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ(١١)»[2]، ثم عادت لبيتها تنتظر الأخبار من ابنتها والأهم تنتظر وعد الوحي لها برده اليها وتتبعت اخت الوليد أخاها في تابوته في مجرى النهر:

﴿ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ ﴾[3]، فماذا حدث للوليد العائم في تابوته؟

﴿ فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ ﴿٨﴾ وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ ۖ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ ۞ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴿١٢﴾ فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ ﴾[4].وفي الحديث الشريف تفاصيل هذا الموقف كاملاً :

---

(١) القصص.
(٢) القصص.
(٣) القصص.
(٤) القصص.

وانتهى الماء به حتى أرفأ به عند فرضة مستقى جواري امرأة فرعون، فلما رأينه أخذنه، فهممن أن يفتحن التابوت فقالت بعضهن : أن في هذا مالا، وإنا أن فتحناه لم تصدقنا امرأة الملك بما وجدنا فيه، فحملنه بهيئة لم يحركن منه شيئا، دفعنه إليها، فلما فتحته رأت فيه غلاما، فألقى عليه منها محبة لم تلق مثلها علي البشر قط، وأصبح فؤاد أم موسى فارغا من ذكر كل شيء إلا من ذكر وليدها الغائب، فلما سمع الذابحون بأمره أقبلوا بشفارهم إلى امرأة فرعون ليذبحوه، فقالت للذباحين : أقروه، فإن هذا الواحد لا يزيد في بني إسرائيل حتى آتي فرعون فأستوهبه منه، فإن وهبه لي كنتم قد أحسنتم وأجملتم، وإن أمر بذبحه لم ألمكم، فأتت به فرعون فقالت: قرة عين لي ولك، قال فرعون : يكون لك، فأما لي فلا حاجة لي في ذلك، قال رسول الله ﷺ: والذي أحلف به، لو أقر فرعون بأن يكون له قرة عين كما أقرت امرأته، لهداه الله به كما هدى به امرأته، ولكن الله حرمه ذلك، زوجة فرعون هي التي أطلقت الإسم علي الطفل اسم موسي وهو اسم فرعوني والاسم مركب من «مو: الماء» و «شا: الشجر» يعني الطفل الكائن بين الأشجار في اشارة إلى الظروف التي تم فيها العثور علي الطفل.فأرسلت إلى من حولها، من كل امرأة لها لبن، تختار لها ظئرا أي مرضعة، فجعل كلما أخذته امرأة منهن فترضعه لم يقبل ثديها، حتى أشفقت عليه امرأة فرعون أن يمتنع من اللبن فيموت، فأحزنها ذلك، فأمرت به فأخرج إلى السوق وتجمع الناس ترجو أن تجد له ظئرا يأخذ منها، فلم يقبل وأصبحت أم موسى والهة، فقالت لأخته : قصيه، يعني أثره، واطلبيه، هل تسمعين له ذكرا ؟ أحي ابني أم قد أكلته الدواب ؟ ونسيت ما كان الله عز وجل وعدها فيه به، أخته عن جنب وهم لا يشعرون، وتخبت أن بصر الانسان إلى الشيء البعيد وهو إلى جنبه لا يشعر به، فقالت من الفرح حين أعياهم الظؤارت : أنا أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون، فأخذوها فقالوا : ما يدريك ما نصحهم له ؟ هل يعرفونه حتى شكوا في ذلك ؟ فقالت : نصيحتهم له وشفقتهم عليه رغبة في ظهور ملك، ورجاء منفعته، فأرسلوها، فانطلقت إلى أمها فأحب بها الخبر، فجاءت أمه، فلما وضعته في حجرها، نزا إلى ثديها فمصه حتى امتلأ جنباه ريا،

وانطلق البشير إلى امرأة فرعون أن قد وجدنا لابنك، فأرسلت إليها، فأوتيت بها وبه، فلما رأت ما يصنع قالت لها : امكثي عندي ترضعي ابني هذا، فإني لم أحجبه شيئا قط، فقالت أم موسى : لا أستطيع أن أدع بيتي وولدي فيضيع، فإن طابت نفسك أن تعطينه فأذهب به إلي منزلي فيكون معي لا آلوه خيرا فعلت، وإلا فإني غير تاركة بيتي وولدي، وذكرت أم موسى عليه السلام ما كان الله ، عز وجل ، وعدها، فتعاسرت على امرأة فرعون وأيقنت بأن الله عز وجل ينجز موعوده، فرجعت إلى بيتها بإبنها من يومها، فأنبته الله نباتا حسنا وحفظه لما قد قضى فيه(١).

علي الجانب الآخر رصد كل من صفوة بني إسرائيل وحكمائها اشارة حدوث ولادة النبي المنتظر بالفعل وتباينت ردود الأفعال:

أولا: سارع الصفوة إلى هامان واخبروه باشارة ميلاد النبي وكان الأمر محيرا لأن ظهور الإشارة كان يوضح أن ميلاد هذا النبي قد تم في الأيام الأولي لعام الذبح ..معني ذلك أن الحمل به كان في بدايات عام السماح السابق، ولكن جند هامان المكلفين بمتابعة الذبح اكدوا أن كل نساء بني إسرائيل وضعن حملهن قبل نهاية عام السماح ولم تتخلف منهن واحدة فمن اين جاء هذا الوليد في هذه الأيام؟ ولم يكن هناك حلا الا أن يأمر هامان جنوده بمعاودة تفتيش كافة منازل بني إسرائيل للبحث عن مولود لا يتعدي عمره اياما معدودة وان يصطحبوا معهم قابلة للكشف علي الأمهات والمواليد لتحديد زمن الولادة وعمر الوليد علي أن يقتلوا اي وليد عمره لا يتعدي اياماً.

ثانيا: الحكماء هللوا لإشارة ميلاد النبي وبدأوا هم ايضا في حذر شديد البحث عن هذا الوليد ومحاولة اخفاءه عن عيون جند هامان حتي لا يذبحوه وان كان المؤمنين منهم مطمئنين إلى نفاذ الإرادة الإلهية ونجاة المولود النبي، ومع ذلك حاول بعضهم مسابقة جند هامان والعثور علي هذا الوليد الذي لا يعرفون من اي بيت هو، ولكن جند هامان كانوا الأسرع والأدق في البحث واقتربوا جدا من منزل ام هارون فنفذت الأم امر الوحي الإلهي.

(١)الراوي : عبدالله بن عباس المحدث : البوصيري المصدر : إتحاف الخيرة المهرة الصفحة أو الرقم 6/234:خلاصة حكم المحدث : إسناده صحيح .

عندما فشل جند هامان في العثور علي هذا الوليد زادت حيرة الصفوة وهامان، ثم عرفوا بقصة الوليد الذي ظهر في قصر الفرعون وعندما ذهبوا لرؤيته ومعهم قابلة تأكدوا انه هو الوليد المقصود واخبروا فرعون بذلك ليقتله ولكن المحبة التي وضعها الله في قلب زوجة فرعون تجاه هذا الوليد موسي وتعلقها به، جعلت فرعون لا يستجيب لطلبهم بل ويتشكك في صدق الأمر كله ولكن مع الضغط من الصفوة ومعهم هامان طمأنهم فرعون أن الوليد سينشأ في قصر فرعون وتحت رقابته الشديدة فان بدا منه اي تمرد يسهل القضاء عليه ولم يكن امام الصفوة وهامان الا الرضوخ للأمر والإستكانة لخطة الفرعون خاصة وانهم كانوا يعلمون مدي حبه لزوجته العاقر والتي تعلقت بالوليد بشدة واتخذوا احتياطاتهم الشخصية من خلال أعوانهم داخل قصر فرعون.

عندما عاد موسي لأمه لترضعه عرف الحكماء انه هو النبي المنتظر فاحاطوه برعايتهم، خاصة وان فرعون قد ألغي امر ذبح المواليد الذكور وهو ما اسعد عامة بني إسرائيل واكد للحكماء انه النبي وباركوه حتي كبر وعاد إلي قصر الفرعون بناء علي طلب زوجة الفرعون وقد اخفي الحكماء عن الصفوة يقينهم هذا بانه النبي المنتظر وشككوهم في امكانية العثور علي هذا الوليد النبي لأن الله اخفاه لكي يتحقق امره بشأن هذا النبي فصدقوهم لضعف علمهم، بالقياس بعلم الحكماء..ولكن بعضهم تشككوا في رأي الحكماء وواصلوا مراقبة موسى . وفي الحديث الشريف استكمال هذه القصة :

فلما ترعرع قالت امرأة فرعون لأم موسى : أريد أن تريني ابني، فوعدتها يوما تريها فيه إياه، فقالت امرأة فرعون لخزانها، وظؤورتها، وقهارمتها : لا يبقين أحد منكم إلا استقبل ابني اليوم بهدية، وكرامة، لأرى ذلك فيه وأنا باعثة أمينا يحصي ما يصنع كل إنسان منكم، فلم تزل الهدايا، والكرامة، والنحلة، تستقبله من حين خرج من بيت أمه، إلى أن دخل على امرأة فرعون، فلما دخل عليها بجلته، وأكرمته، وفرحت به، وأعجبها، ونحلت أمه لحسن أثره، ثم قالت : لآتين به فرعون فلينحلنه، وليكرمنه، فلما دخلت به عليه، جعله في حجره، فتناول موسى لحية فرعون فمدها إلى الأرض، فقال الغواة من أعداء الله لفرعون : ألا ترى إلى ما وعد الله عز وجل إبراهيم نبيه عليه السلام أنه يرثك، ويعلوك، ويصرعك

فأرسل إلى الذباحين، فجاءت امرأة فرعون تسعى إلى فرعون، فقالت : ما بدا لك في هذا الغلام الذي وهبته لي، قال ألا ترينه يزعم أنه يصرعني ويعلوني، قالت : أجعل بيني وبينك أمرا تعرف فيه الحق، ائت بجمرتين ولؤلؤتين، فقربهما إليه، فإن بش باللؤلؤتين واجتنب الجمرتين عرفت أنه يعقل، وإن تناول الجمرتين ولم يرد اللؤلؤتين، علمت أن أحدا لا يؤثر الجمرتين على اللؤلؤتين وهو يعقل، فقرب ذلك إليه فتناول الجمرتين فانتزعوهما من يده وخافت أن يحرقا يديه، فقالت المرأة : ألا ترى، فصرفه الله عنه بعد ما كان قد هم به، وكان الله عز وجل بالغا فيه أمره (١).

ثم حدثت واقعة الذقن امام الصفوة وهامان فثار الشك مرة أخري في نفوسهم ولكنهم سكتوا امام نتيجة اختبار الجمرة.

في اثناء سنوات بقاء موسي في قصر الفرعون زاد حب الفرعون له حتي انه كان يسمح له بانصاف الشاكين من بني اسرائيل خاصة من تعسف الصفوة معهم وتسخيرهم، وكانت العلاقة قوية جدا بين زوجة الفرعون وبين موسي، وكانت تسمح لأمه وأخيه هارون بزيارته في القصر مع رعاية اخته له، ومن فرط حب زوجة فرعون لموسي وعطفها علي اسرته اطلعوها علي سرهم فلم تهتم كثيرا فكل ما يهمها هو وجوده بجانبها كابن بار لها وكذلك حب فرعون له واهتمامه بتعليمه وحسن تنشئته. ولشدة ايمان زوجة فرعون ويقينها بأن وعد الله سيتحقق، لم تهتم إن كان موسي هو هذا النبي ام لا..المهم انه ابنها ويحبها. وبعد أن كبر موسي اقنع الصفوة ومعهم هامان، فرعون بضرورة الزواج مره أخري لكي ينجب ولي عهد له وحار فرعون في الأمر لحبه لزوجته وخوفه من حزنها لذلك، ولكنها لم تحزن واعترفت بحقه في انجاب ولي عهد من صلبه لأن موسي لا يصلح لذلك لكونه ليس من صلبه بل ومن بني اسرائيل فتزوج فرعون وانجب علي الأقل فتاة كما جاء في الحديث الشريف عن الماشطة.

(١)الراوي : عبدالله بن عباس المحدث : البوصيري المصدر : إتحاف الخيرة المهرة الصفحة أو الرقم ٦/٢٣٤ خلاصة حكم المحدث : إسناده صحيح.

بلغ موسي ريعان الشباب ولعله تجاوز العشرين من عمره وعلا شأنه عند فرعون بصورة ازعجت الصفوة وهامان معا لأن الشك فيه كان يزداد عاما بعد عام دون دليل لأن فرعون لم يكن يأخذ احد بالظن، كما كان يحبه، وزوجته الأولي تعتبره ابنها .

وفي نفس هذه الفترة لجأ الصفوة الى خطة بعيدة المدي ليواجهوا بها هذا النبي - الذي تأكد لهم أنه موسي - بالإستعداد لمواجهته حين يكلف بالنبوة ويواجه الفرعون لتحقيق الوعد الإلهي وذلك بالإستعداد لشحن الشعب المصري للوقوف بجانب فرعون ضد موسي.

وكان لهذا الاستعداد مرحلتان:

الأولى : استقطاب بعض الرجال النابهين المتطلعين من حكماء بني إسرائيل وبعضهم بالتهديد ليسافروا لجنوب مصر وافريقيا لتتعلم سحر الكابالاه والذي كان معروفاً لدي سكان مصر الجنوبية وكان هامان سبيلهم لتحقيق هذه الخطوة، ثم وزعوا هؤلاء السحرة في مختلف بلاد مصر لتنفيذ مخططاتهم وذلك بعد اقامة استعراض كبير لقدراتهم امام فرعون وامام الشعب ليكونوا سلاحا له مستقبليا.

الخطوة الثانية : كانت اشد قوة وخطورة و كان اوانها سيتحدد مع البشارات الأولي لبدء نبوة موسي.

ولكن الأمر كان يحتاج لتهيئة عناصر الأمة لتقبل بل ومساندة هذه الخطوة الحاسمة والجديدة في فكرها . كان الصفوة يخططون لإعلان تأليه فرعون كأول فرعون يتم تأليهه في حياته ..فكرة شيطانية ولكنها الوحيدة القادرة على مواجهة نبوة موسي حين يكلف بها ويعلن عنها، نبي مرسل من لدن اله فكيف سيتقبله او يؤمن له اله مثل الهه ..هل سيتراجع فرعون عن الوهيته مقابل اله موسي آنذاك ؟ هذا يتوقف على مدى اقتناع فرعون بأنه الإله الحق لأن عقيدة فرعون أن الإله واحد لا شريك له فمن سيكون هذا الإله؟ فرعون ام اله موسي ؟هذا متوقف على مدى امكانية اقناع هامان بالفكرة وحتميتها ثم اقناع فرعون بهذه الفكرة وأخيرًا تهيئة الشعب لتقبلها ولو بإكراه جنود هامان وفرعون للمصريين وبني إسرائيل على تقبل هذه الفكرة، مع الوضع في الإعتبار أن آل فرعون وملاه سيرحبون بهذه الفكرة لأنها في النهاية لصالح وضعهم ومكانتهم في المجتمع وتحقيق مصالح كبيرة لهم من منطلق كونهم آل الإله وخاصته..

الفكرة قوية ومناسبة ولكن محاذيرها كثيرة وفيها العديد من الصعوبات بسبب قوة عقيدة المصريين التي ستجعلهم يرفضون هذه الفكرة فلابد من خداعهم او اجبارهم، إجبارهم حل مؤقت وسيلته الجند، اما خداعهم الذي سيؤدي لإقناعهم فهذه مهمة السحرة التي يتدربون عليها منذ سنوات ..المهم اقناع الفرعون نفسه،حتى اذا جاء موسى برسالته كان الإستعداد للمواجهة القوية .

في هذه الفترة ظهر في أسواق العاصمة المصرية رجل وافد له ملمح مميز بضخامة الجسم وبكونه اعور، موطنه الأصلي بلدة «سامرا» في فلسطين لذلك أطلق عليه الناس اسم« السامري »، كان هذا الرجل يقول انه موحد مثل شعب مصر وبني إسرائيل ومعهم باقي سلالة أبناء يعقوب التي ينتمي اليهم موسى واسرته، ولكنه كان يحرص علي التداخل مع بني إسرائيل بمختلف مستوياتهم من العامة للعلماء واستطاع أن يصل حتي للصفوة منهم وذلك من خلال علمه الغريب المصدر والمطابق لعلم القلة الباقية من علماء بني إسرائيل، وباقي سلالة يعقوب الذين التصقوا بأبناء عمومتهم حتي صاروا منهم ونالهم نفس مصيرهم. كان السامري متخصص في المصوغات والمصنوعات الذهبية وكان لأعماله الذهبية تصميمات مميزة متقنة لا يضاهيها صائغ اخر في مصر كلها لذلك راجت بضاعته بين النساء المصريات ونساء الصفوة وهامان والجنود، ومن هنا تقرب لهم ولمجالسهم وجذبهم بما لديه من علم وافكار شيطانية تشكك في ماهية الإله خاصة بعد أن رأي موسي وعرف فيه النبي الموعود فصعَّد من هجومه علي نتائج السكوت علي المصير المحسوم لفرعون مصر علي يد موسي وتحريضه للصفوة وآل فرعون وهامان، ولكن لا حل لقرب موسي الشديد من فرعون، وان كان هذا يطمئنهم لسيطرتهم عليه وكذلك قوة السحرة المهيأة لوقت اللزوم ولم يعرف السامري بخطة تأليه فرعون الا بعد أن زادت ثقتهم به وربما بعد أن لمح لهم بحذر بهذه الفكرة فتلاقت الأفكار او تكون هذه هي فكرة السامري من الأساس وهم وجدوا فيه ضالتهم المنشودة ولكن السامري حذر من الإعتماد علي السحرة لفارق القوة بينهم وبين أقرانهم المصريين .

ظل السامري يراقب موسي بدقة من ناحية ويدعم التشكيك في نفوس عامة بني إسرائيل في فكرة ومواصفات الإله الحق وكان دور السامري مع بني إسرائيل يتركز في زرع فكرة الإله المجسد لكي تتجلي قدراته وتسهل عبادته فالإله غير المجسد او الملموس غير مقنع لأن وجوده ليس مؤكدا .. ولأن حكماء بني إسرائيل كان قد هلك اغلبهم فقد تسرب الإقتناع الخفي للعامة ولكن بحذر ومقاومة من القلة الباقية العالمة.، فدخل السامري في صراع غير مباشر مع القلة الباقية من مؤمني وحكماء بني إسرائيل..ونلاحظ أن السامري لم يقابل فرعون ابدا .

كبر موسي وقارب علي الثلاثين واصبح ذو علم وحكمة وقوة جسمانية هائلة وداعم كبير لعامة بني إسرائيل.. معني ذلك أن نبوته قد تبدأ في اي وقت فلابد من الإستعداد، ولكي يدعم السامري خطته الشيطانية ويزيد من تهيئة بني إسرائيل للإقتناع مستقبلاً بفكرة تأليه فرعون، اقترح على الصفوة وهامان عمل استعراض لقدرات السحرة من بني إسرائيل امام فرعون والشعب المصري والعامة من بني إسرائيل كاختبار لقدرات هؤلاء السحرة ومدى تأثيرهم في الناس طالما انهم يشكلون عنصراً اساسياً في خطة تأليه فرعون، فاستحسنوا هذا الاقتراح واقنعوا فرعون به، وتم الإستعراض في يوم الزينة وانبهر فرعون ورضي عما رآه من قدرة السحرة واعتبرهم قوة داعمة له الي جانب جنوده وجنود هامان المخلص له، ولكن الأهم أن الصفوة وهامان والسامري اطمئنوا علي قوة وكفاءة السحرة وبالتالي قدرة الكابالا على توجيه البشروتغيير ارادة الله او على الأقل مواجهتها والتصدي لها .

ولكن زوجة الفرعون الأولي المؤمنة لم تهتز ولم يخدعها مارأت وحزنت لسعادة زوجها الفرعون بذلك ورأته طالع سوء وبشارة غير مطمئنة، ولم ينبهر الشعب المصري كثيراً خاصة وأنهم يعرفون أن السحر علم مصري أصيل وهو سحر الكابالا ولاحظ الكثيرون منهم ضعف قدرات سحرة بني إسرائيل مقارنة بالسحرة المصريين، ولكن عامة بني إسرائيل انبهروا بقدرة السحرة لأن السحر جديد عليهم وآمنوا بقدرة هؤلاء السحرة الذين يعرفونهم لأنهم منهم, وقد استثمر السامري والصفوة هذا العرض في تأكيد فكرة الألوهية المجسدة لدي بني إسرائيل وضرورة أن تكون للإله الحق شواهد ملموسة وأفعال محسوسة ونجحوا، كما نجحوا مع فرعون .

أما عن موسي فقد انبهر بما رأى هو واخيه هارون، وعبر عن مدى انبهاره امام زوجة الفرعون، ولكنه فوجئ بحديث زوجة فرعون والذي أكد له أن كل هذا خداع بصر باستخدام المؤثرات المرئية مثل الدخان والبخور فيجب الا يتأثر بذلك، واكدت له أن السحرة المصريين اقوى واقدر من هؤلاء بكثير ولكنهم يعرفون أن كل هذا لايتم ولا يؤثر الا بأمر الله فيسخرون علمهم فيما يرضي الله لكي يكون مؤثراً . واقتنع موسي الى حد كبير وحكى لهارون عما سمع من زوجة الفرعون فأقترح عليه أن يستطلعا رأي حكماءهم فأكدوا ماقالته زوجة الفرعون بأن ما رآه لم يكن الا كيد بشري عاجز وخادع، يظهر كذبه امام آيات الله فلا تنخدع بهم. فخرج موسي وقد ادرك الخدعة هو وهارون، وعرف السامري بماحدث لموسي مع الحكماء وما ادركه من الخداع، ولأن خداع موسى وتضليله كان هو الهدف الرئيسي للسامري من عرض السحرة، فقد ثار بشدة لموقف الحكماء ورأى انه يجب ابعاد موسى تماماً عن هؤلاء الحكماء الذين يقاومون السامري ويجادلونه في محاولاته لإقناع بني إسرائيل بفكرة الإله المجسد والتي نجح فيها الى حد كبير بعد عرض السحرة، لذلك يجب ابعاد موسى تماماً عن هؤلاء الحكماء بل وعن بني إسرائيل وقومه كلهم، ولكن كيف ؟

أسرع السامري بابلاغ الصفوة وهامان بما كان من امر موسى مع الحكماء، فلا شك انه لم يعرف بأمر حديثه مع زوجة الفرعون . سارع الصفوة بمساعدة هامان الى تدبير مواجهة بين الفرعون وموسى وبسؤال موسى في حضرة الفرعون عن رأيه فيما رأى، ردد موسى ما اقتنع به من حديث الحكماء وزوجة الفرعون، قال ما قاله بقوة ايمان ومنطق سليم فتأثر الفرعون بحديثه لأنه موحد، كما دعمته زوجته الأولي التي كانت حاضرة للنقاش وانصرف موسى راضياً بما رآه من اقتناع الفرعون برأيه، وانصرفت الزوجة ايضاً مطمئنة، ولكن طار صواب الصفوة وهامان لأن موسي سيفسد عليهم خطتهم وخطواتهم القادمة الفاصلة لذلك دسوا لموسي عند فرعون وذكروه أن موسي ولد في عام من اعوام الذبح ولم يذبح وبعدها اختفت علامة حدوث ميلاد النبي المرتقب، كما ذكروه بواقعة الذقن، فانقلب الفرعون على موسي، وحرم عليه دخول مدينة بني إسرائيل وهددهم إن هم استقبلوه بل وحرم عليه لقاء أمه وأخيه حتي في القصر وأراد طرد اخته من الخدمة في قصره ايضاً

لكن الزوجة تمسكت بها، كل هذا لكي يقطع كل صلة لموسي بقومه.. ولكن طبيعة موسى المتمردة السريعة الانفعال جعلته يرفض هذه الأوامر بل ويتحداها.

وعندما وصلت لهذه المرحلة من الرواية استوقفني صديقي وقد ظهر عليه التفكير العميق ثم طلب مني أن نكتفي بما قرأناه اليوم علي أن نلتقي في مساء اليوم التالي لنواصل القراءة، وقد وافقته على ذلك، خاصة وان الفصل الأول من الرواية كان قد وصل لنهايته، وادركت أن صديقي يريد أن يسترجع ما قرأته عليه من أحداث لكي يناقشني فيما يريد أن يستوضحه من استنتاجاتي فأنصرفت وكأنني شهرزاد وقد ادركها صياح الديك مؤذناً بإنبلاج الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

الفصل الثاني : الهروب

عندما التقينا في مساء اليوم التالي كان صديقي متحفزا ولكن بهدوء، فبادرني قائلا : اري أن الأحداث حتى الآن تتمتع بقدر كبير من المنطقية فيما يتعلق بعلاقة صفوة بني إسرائيل وباقي سلالة يعقوب بهامان وقائد جنده وسيطرتهم على فرعون إلى حد كبير، وكذلك خطة حكماء بني إسرائيل لمواجهة قرار فرعون بتذبيح الذكور من مواليدهم ودور الصفوة في هذا القرار، ثم دورهم في تعديله لعام وعام وأخيرًا تكوينهم لفريق من السحرة من قومهم ليتعلموا فنون سحر الكابالا، استعداداً لتنفيذ اي مهام خداعية منهم لصالح هؤلاء الصفوة، فقلت مضيفاً قصة سحر الكابالا في مصر قصة تحتاج الي شرح طويل وتأمل ودراسة لأن هناك ادلة على أن ممارسة الناس للسحر بدأت مع وجود الإنسان على الأرض، وهو فتنة شأنه شأن سائر الفتن البشرية تتوقف على حسن او سوء استغلال هذه الفتنة، والواضح أن الكهنة المصريين كانوا يتقنون هذا السحر لصالح الناس وفائدتهم وكان لهم مكان محدد في جنوب مصر، ولكن من تعلمه من بني إسرائيل اساءوا استخدامه بعد أن تفرقوا في كل الأقاليم لممارسة هذا السحر على عامة الشعب لتحقيق مصالح خاصة بهم وللصفوة ولهامان ايضاً والذي يعيشون ويعملون تحت حمايته وحماية جنده في مختلف الأقاليم ولينفذوا المهام المطلوبة منهم، ولاشك انه كانت هناك مصالح للجنود ايضاً من خلال هؤلاء السحرة .قال صديقي : هذا هو الأقرب للمنطق مع شيوع التوحيد والإيمان في مصر، ثم انتقلت أخيرًا لخطتهم الفريدة لمواجهة موسي حين يكلف بالنبوة التي ستطيح بحكم الفرعون فهذا ليس بغريب عليهم استنادا لسياساتهم التالية وحتى اليوم اي انها كانت بداية سياساتهم في تحدي الارادة الالهية، فقلت: هذا كلام مطمئن والواقع أن الآيات القرانية والأحاديث الشريفة ساعدتني كثيرا في ذلك ويسرت لي استنتاج باقي الأحداث. فقال صديقي: عظيم ولكني اريد أن افهم الأساس الذي نسجت عليه توقيت ظهور السامري ومهنته ودوره في الأحداث . فقلت: لا شك أن السامري شخصية اساسية في هذه القصة فقد كان يعيش في مصر في زمن خروج بني إسرائيل من مصر مع موسي بدليل انه خرج مع بني إسرائيل وهنا السؤال: رجل وافد إلى مصر ضمن الآف الوافدين اليها طمعا في الحياة الرغدة والرزق الواسع

وواضح من اسمه انه من بلدة سامرا في فلسطين اي انه وثني وادعى انه موحد الإله، وحضر عهد تأليه فرعون، هذا التأليه الذي لم يُفرَض الا علي شعب مصر بالضرورة وعلي بني إسرائيل بتدبير الصفوة حتي لا يكونوا ظهيرا لموسي حين يعود بالنبوة اما باقي الوافدين فلم تفرض عليهم عبادة فرعون كاله واحد كما لم تفرض عليهم عبادة إله المصريين من قبل، ولاحظ يا صديقي أن فكرة عقيدة المصريين لم تتغير، هو إله واحد ولكن الجديد انه بشر هذه المرة لم يكن هذا السامري اذن في مشكلة في حياته في مصر وهو وثني فلماذا يتقرب من بني إسرائيل ويتداخل معهم وهم موحدون بالله مجبرين علي اعتبار الفرعون هو هذا الإله الواحد وبينهم علماء ينتظرون وعد الله بالنبي الذي سيطيح بعرش فرعون ويتوقعون أن يكون موسي هو هذا النبي، فلماذا يتداخل معهم حتي انه يرحل معهم عندما يرحلون في ظروف قاسية وخطر داهم من فرعون وجنوده؟ لماذا يرحل معهم وهو يخالفهم في العقيدة ويعرض نفسه لخطر هو في غني عنه؟ لاشك انه كان يعرف انهم سينجون من فرعون وجنوده وانه كان يسعي لتحقيق هدف محدد يتعلق بثباتهم علي عقيدتهم التي ورثوها عن جدهم يعقوب

﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ ﴾ (١) كان هذا عهدهم لجدهم يعقوب عليه السلام وهو يموت في مصر وعاشوا هم في مصر علي هذا العهد. لاشك اذن أن السامري كان يسعي لزحزحتهم عن هذه العقيدة والدليل علي ذلك ما فعله في قصة العجل الذهبي بعد ذلك ثم اختفاءه من مسرح الأحداث تماما، والغريب أن قصة صناعة العجل في التوراة المتداولة حاليا تدعي أن هارون عليه السلام هو الذي صنع هذا العجل .. فلماذا يحرف بنو إسرائيل التوراة في هذه القصة ويتهموا نبي الله هارون عليه السلام بهذه الجريمة ويتسترون علي السامري بطل القصة الحقيقي كما ورد في سورة طه؟

(١)البقرة.

ستكتشف يا صديقي أن هناك علاقة غير واضحة بين بني إسرائيل وهذا السامري، فاذا كان هذا هو موقف السامري مع بني إسرائيل ومحاولاته لصرفهم عن عبادة الله الواحد الأحد فليس من الغريب أن يكون له دور ودور هام في التمهيد لفتنة بني إسرائيل عن عبادة الله منذ كانوا في مصر ومنذ اعلن الفرعون انه الإله الواحد .. وهذه مهمة استغرقت سنوات انتهز فيها فرصة هروب موسي عليه السلام وفزع الصفوة من ظهور النبي الذي يهدم عرش فرعون واستخدم اساليبه الشيطانية في المساعدة في اشعال الفتنة وتأجيج نيرانها في مهدها وكيف سيستغل هروب موسي لتنفيذ الخطة الجهنمية بتأليه فرعون .. لاشك انه كان عميلاً مزدوجا لتحقيق اهدافه الوثنية، لذلك تصورت بداية ظهوره مع اقتراب موسي من سن النبوة المعروف وهو سن الاربعين ليشارك في الإعداد لهذه المواجهة الحاسمة والحتمية. اخذ صديقي يفكر فيما عرضته ثم قال : واضح انك تريد أن تقول أن السامري كان محارباً للتوحيد، فلماذا حاربه مع بني إسرائيل ولم يحاربه مع المصريين ؟ تأملت قليلاً ثم قلت : هذا تساؤل مهم جداً واتصور أن السامري بما لديه من علم غريب – كما ذكرت في الفصل الأول – كان يعرف أن بني إسرائيل هم الأكثر تقبلاً لأفكاره عن التوحيد وحقيقته من المصريين الواضح من الآيات القرآنية انهم كانوا شديدي الإيمان بالإله الواحد، وربما كان يعرف ما سيكلف به بنو إسرائيل بعد ذلك من دور محوري في نشر عبادة الله في العالم كله بما سيتلقاه نبيهم من تشريع شامل، فقرر أن يزرع بداخلهم بذور التمرد على التكليف الإلهي بل على طبيعة الإله ليوقف نشر التوحيد في العالم والذي كان متمركزاً في مصر وحدها بين المصريين وبني إسرائيل، اما ذرية اسماعيل عليه السلام فأعتقد أن عمرو بن لُحَي(١) كان قد نشر عبادة الأصنام بينهم في ذلك الوقت لأن العالم كله كان لابد أن يكون منتظراً الهداية الكاملة متمثلة في التوراة والتي سيكلف بنشرها بنو إسرائيل وسنرى ماذا كان موقفهم منها ومن نشرها في العالم كما سيكلفوا .

---

(١)هو من جلب الأصنام لمكة من الشام ونشر عبادتها كما جاء في كتاب الأصنام.

قال صديقي : اري ذلك منطقيا إلى حد كبير .. وافترضت انه صائغ متميز لأنه سيصنع العجل من الذهب قلت: نعم بل والأكثر من ذلك كما ستري . سكت صديقي لحظات ثم قال والآن اعتقد انك مقبل في أحداثك علي الانقلاب الأول والأساسي في حياة موسي، قلت : نعم، الواضح أن موسي لم يلتزم بأوامر فرعون بمنعه من دخول مدينة بني إسرائيل والإختلاط بأهلها بعد أن نبهوه الى خداع السحرة وبدأ بعد أن هدأت الرقابة عليه في التسلل للمدينة للقاء اسرته، وفي احدي هذه المرات كانت واقعة القتل،

﴿ وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ [1].

ويصف الحديث الشريف الواقعة موضحاً :

فبينما موسى عليه السلامُ يمشي في ناحيةِ المدينةِ، إذ هو برجلَيْنِ يقتتلانِ، أحدهما فرعونيٌّ والآخرُ إسرائيليٌّ، فاستغاثَهُ الإسرائيليُّ على الفرعونيِّ، فغضب موسى غضبًا شديدًا، لأنَّهُ تناولَهُ وهو يعلمُ منزلتَهُ من بني إسرائيل وحِفْظِه لهم، لا يعلمُ الناسُ إلا أنما ذلك من الرضاعِ، إلا أمُّ موسى، إلا أن يكون اللهُ أطلعَ موسى من ذلك على ما لم يُطْلِعْ عليه غيرُهُ . فوكزَ موسى الفرعونيَّ، فقتلَهُ وليس يراهما أحدٌ إلا اللهُ عزَّ وجلَّ والإسرائيليُّ، فقال موسى حين قتلَ الرجلَ : ﴿ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴾ [2].

---

(١)القصص.
(٢)الراوي : عبدالله بن عباس المحدث : البوصيري المصدر : إتحاف الخيرة المهرة الصفحة أو الرقم:٢٣٤/٦ خلاصة حكم المحدث : إسناده صحيح.

لم يعرف موسي اين يذهب بعد فعلته هذه وان كان به شئ من الإطمئنان بأن احدا لم يشهد ما حدث سوي الإسرائيلي صاحب القصة والذي لا يتوقع موسي أن يشي به بالطبع وسارع بالخروج من مدينة بني إسرائيل المحرم عليه دخولها اصلا ولجأ إلى مقره الأساسي وهو قصر الفرعون ولجأ إلى امه الروحية زوجة الفرعون والتي ادركت حاله وسألته عما به فلم يتردد كثيرا في اخبارها بما اقترفه وعذره في ذلك وكطبيعة الأم العاقلة الحنون ولمعرفتها بأخلاق وطباع ابنها التمست له العذر لما شاهده من تجبر المصري علي الإسرائيلي بمحاولة اجباره علي الإمتثال لأمره له بتسخيره في الأعمال التي يريدها، وتأكدت انه لم يقصد القتل ولكنه قتل، لذلك نصحته أن يتوب إلى الله ويستغفره وينوي عدم العودة لمثل هذا الاثم .. وتوقعت الا يستدل عليه احد ولكنها نصحته بالحذر. ولأنه اطمئن لأن موقفه آمن، تصرف كأي جان يحوم حول مكان جنايته، فذهب في اليوم التالي إلى المدينة بنفس الإسلوب ليفاجأ بنفس الموقف :

﴿ فَأَصْبَحَ فِي ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا ٱلَّذِى ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥ ۚ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ ۖ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾ ﴾ (١) .

وفي الحديث الشريف مزيد من التفاصيل :

ثم قالَ : رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ، فأصبحَ في المدينة خائفاً يترقَّبُ الأخبارَ، فأتِيَ فرعونُ، فقِيلَ لهُ : أن بني إسرائيلَ قتلوا رجلاً من آلِ فرعونَ فخُذْ لنا بحَقِّنَا ولا تُرَخِّصْ لهم. فقالَ : أبغوني قاتِلَهُ، ومن يشهدُ عليه، فإنَّ الملِكَ وإن كانَ صَفْوُهُ مع قومِه لا يستقيمُ لهُ أن يُقِيدَ بغيرِ بينةٍ ولا ثَبْتٍ، فاطلبوا لي عِلْمَ ذلك آخُذُ لكم بحقِّكم. فبينَما هم يَطوفونَ ولا يَجِدونَ ثَبْتًا، إذا بموسى من الغَدِ قد رأى ذلك الإسرائيليَّ يُقاتِلُ رجلاً من آلِ فرعونَ آخرَ

---

(١) القصص.

فاستغاثَهُ الإسرائيليُّ على الفرعونيِّ، فصادف موسى قد ندم على ما كان منهُ وكَرِهَ الذي رأى، فغضب الإسرائيليُّ وهو يريدُ أن يبطشَ بالفرعونيِّ، فقال للإسرائيليِّ لما فعل بالأمس واليومَ : إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ . فنظر الإسرائيليُّ إلى موسى بعد ما قال لهُ ما قال، فإذا هو غضبانٌ كغضبِهِ بالأمسِ الذي قتلَ فيه الفرعونيَّ فخاف أن يكون بعدما قال له إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ أن يكونَ إياهُ أراد، ولم يكن أرادَهُ، وإنَّما أرادَ الفرعونيَّ، فخاف الإسرائيليُّ وقال : يا موسى أَتُرِيدُ أن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ وإنما قالَهُ مخافةَ أن يكون إياهُ أراد موسى ليقتلَهُ، فتتاركا وانطلقَ الفرعونيُّ فأخبرهم بما سمع من الإسرائيليِّ من الخبرِ حين يقولُ أَتُرِيدُ أن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ فأرسل فرعونُ الذَّبَّاحِينَ ليقتلوا موسى، فأخذ رُسُلُ فرعونَ في الطريقِ الأعظمِ يمشونَ على هيئتهم يطلبونَ موسى وهم لا يخافون أن يفوتهم(١) .ولاشك أن زوجة الفرعون علمت بالأمر لأنها كانت تتابع أخبار فعلة موسى وهل انكشفت ام لا، فلما علمت حاولت تشكيك الفرعون في صدق المعلومة التي تجزم بجرم موسى ولكن الصفوة وهامان وآل فرعون الحانقين على موسى ومكانته عند فرعون كان اقناعهم وتأثيرهم على فرعون أكبر فأصدر امره بقتل موسى، خاصة وان موسى خالف اوامره الصارمة بعدم دخول مدينة بني إسرائيل والإختلاط بأهلها فإذا به يقتل مصرياً دفاعاً عن إسرائيلي، ولكن عناية الله ترعى نبيه المنتظر :

﴿ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ يَسۡعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلۡمَلَأَ يَأۡتَمِرُونَ بِكَ لِيَقۡتُلُوكَ فَٱخۡرُجۡ إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ٢٠ فَخَرَجَ مِنۡهَا خَآئِفٗا يَتَرَقَّبُۖ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٢١ ﴾(٢) .

(١)الراوي : عبدالله بن عباس المحدث : البوصيري المصدر : إتحاف الخيرة المهرة الصفحة أو الرقم:٢٣٤/٦ خلاصة حكم المحدث : إسناده صحيح.
(٢)القصص.

ويزيدنا الحديث الشريف :

فجاء رجلٌ من شيعةِ موسى منِ أقصى المدينةِ فاختصرَ طريقًا حتى سبقهم إلي موسى فأخبرهُ . فخرج موسى مُتَوَجِّهًا نحوَ مَدْيَنَ لم يَلْقَ بلاءً قبل ذلك، وليس لهُ بِالطريقِ علمٌ إلا حُسْنُ ظنهِ بربهِ عز وجلَّ فإنهُ قال عسى ربِّي أن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ(١)

﴿ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهْدِيَنِى سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾ ﴾ (٢) .

من الذي امر موسى بالتوجه لمدين وهو لا يعرف الطريق ؟ الأغلب أن الرجل الصالح الذي حذره هو من اقترح عليه أن يذهب لمدين لأنه لو كان وحي من الله كما حدث مع امه لذكرت الآية ذلك، ولكن لماذا نصحه بالتوجه لمدين ؟ ربما لأنها البقعة الوحيدة في المنطقة التي لا تزال على دين الحق الذي جاءهم به نبي الله شعيب ولكن ذلك لا يثبت أن حماه كان شعيباً رغم مايشبه النبوة منه حين قال له تعليقاً على قصته :

﴿ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾ (٣) .

فهي غالباً استنتاج منطقي من الشيخ التقي الموحد فهو إن لم يكن من المؤكد انه نبي الله شعيب عليه السلام فهو من ذرية من آمن معه فنجت من الفناء .

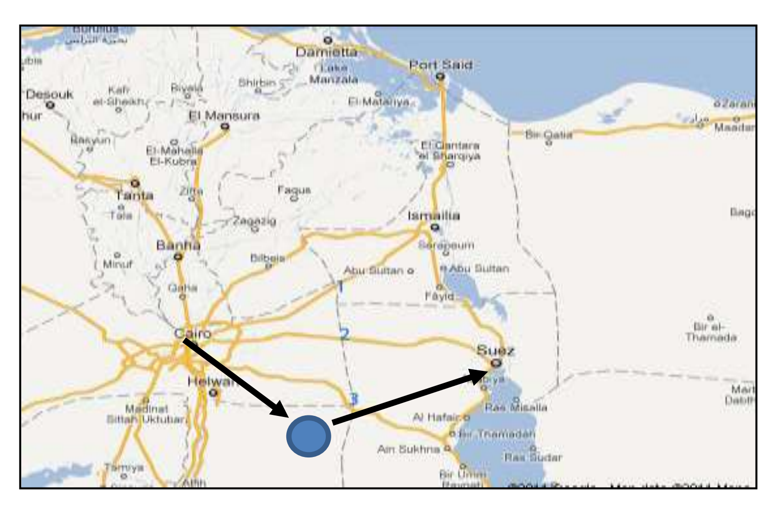
استوقفني صديقي باسما في ارتياح وقال: مقبول جدا تصورك لما حدث لموسي فيما بين يومي الحادثين، كان طبيعيا أن يلجأ لأمه الروحية وحمايته زوجة فرعون وطبيعي أن توجهه إلى طريق التوبة وتهدئ من روعة قليلا للدرجة التي جعلته يطمع في تكرار التسلل لرؤية اسرته ليحدث ما حدث، ولكن دعنا نربط التاريخ بالجغرافيا ..خرج موسي ليذهب إلى مدين كما فسرت وهو لا يعرف الطريق فكيف كان مساره ليصل إلى مدين التي اعرف أن مضاربها كانت في منطقة تبوك الحالية في المملكة العربية السعودية ..

(١)الراوي : عبدالله بن عباس المحدث : البوصيري المصدر : إتحاف الخيرة المهرة الصفحة أو الرقم:٢٣٤/٦ خلاصة حكم المحدث : إسناده صحيح.
(٢)القصص.
(٣)القصص.

كان لابد لموسي أن يدخل سيناء ويتوغل فيها حتي يصل إلى مضارب مدين دون أن يعبر خليج العقبة فلم تكن له وسيلة لذلك، فكيف سار به الوحي الإلهي وهو مطارد من جند فرعون العالمين بدروب سيناء جيدا حتي دخل حدود الأردن الحالية ثم السعودية حتي مضارب مدين؟ هلا فكرت في هذا الأمر ووضعت تصورا لخط سيره؟

ابتسمت برضا واكدت: لم يفتني هذا الأمر بحمد الله ووضعت له تصورا . الآيات القرآنية توضح أن قصر الفرعون كان بين فرعي النيل عند رأس مثلث الدلتا، علي الجانب الغربي على الأرجح كان جناح الملكة ووصيفاتها، وعلي الجانب الشرقي المواجه لطلوع الشمس كان عرش الفرعون.

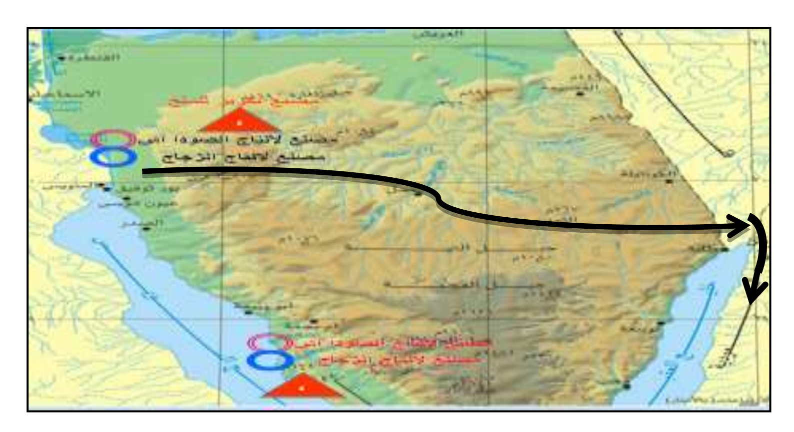
وكانت مدينة بني إسرائيل ملاصقة للعاصمة إلى الجنوب منها وأتصور انها كانت بعيدة عن النيل، لأن السكنى المميزة علي النيل اختص بها آل فرعون وصفوة بني إسرائيل ثم الفئات المميزة من الشعب المصري مثل التجار والموظفين، لذلك لم اتوقع أن تكون مدينتهم علي النيل بل موغلة في العمق تجاه خليج السويس، فعندما خرجوا بعد ذلك مع موسي كانوا اقرب لخليج السويس الحالي، انظر ياصديقي لهذه الخريطة وتأمل معي الموقع.



اتصور أن موقع مدينة بني إسرائيل كان عند مدينة حلوان الحالية ولكن بعيداً عن النيل كما ذكرت.

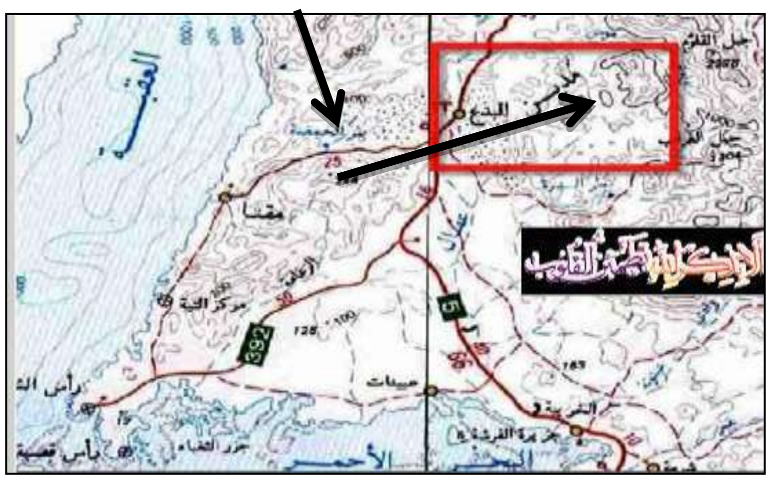
قال صديقي: ولماذا كانت المدينة إلى الجنوب وليس إلى الشمال؟ قلت: لأن النيل يجري من الجنوب إلى الشمال فحمل صندوق الوليد او تابوته كما في الآية الكريمة.

سكت صديقي مفكرا ثم قال:معقول، واضفت: والأم خرجت بوليدها خلسة من المدينة هربا من جند هامان وابتعدت نحو النهر لتضع الصندوق، فلو كانت مدينة بني إسرائيل على ضفاف النيل كان من المتوقع أن يراها الجند وهي تضع التابوت في الماء اثناء اجتياحهم السريع للمدينة ولكن الإبتعاد عن المدينة يعني الإبتعاد عن الجند تماما. فأومأ صديقي موافقا فواصلت: موسي هرب منطلقا من المدينة حيث حذره الرجل الصالح ومن الطبيعي أن يتوجه عكس اتجاه العاصمة القادم منه الجند اي تجاه خليج السويس الحالي بزاوية انحراف تمكنه من تفادي البحر والدخول إلى سيناء عند مدينة السويس الحالية كما هو مبين في الخريطة (١)، وهذه المنطقة تقابل القطاع الأوسط في سيناء الشهير بجباله الشاهقة ودروبه الضيقة الملتوية والتي تسهل الإختباء بها من ملاحقة الجند خاصة بالليل وهو التوقيت المتوقع لمحاولة موسي دخول مدينة بني إسرائيل في غفلة من اهلها كنص الآية ثم لباقي الحادثة ولعله بلغ منطقة الممرات الشهيرة في القطاع الأوسط قرب حلول الفجر وواصل سيره المتخفي حتي اطمئن لإنقطاع متابعة الجند له فالتقط انفاسه مع انبلاج النهار وواصل السير بين الجبال حتي وصل إلى طرف خليج العقبة، ونلاحظ انه الطريق الوحيد الذي وعاه ذهن موسى واحتفظ به حتى قرر الرحيل عن مدين والعودة لمصر فسلك نفس الطريق ولكن تاه هذه المرة بأمر الله لأنه مقبل في هذا المكان على مهمته الحقيقية في الحياة.



خريطة (٢)

وصل موسى الى موقع عند مدينة العقبة الأردنية الحالية ثم اتجه يمينا وهنا كان دور الوحي حتمياً ليوجهه ليسير بمحازاة ساحل البحر فلاشك أن الظمأ قد اتعبه فسار بجانب الماء لعله يصل الى موقع ماء، وواصل السير حتى وصل إلى عين الماء عند مضارب مدين فيتوجه إلى العين ليشرب فيري ما يحدث وتتواصل الأحداث كما في القران والسنة.



خريطة (٣)

تصور هذه الخريطة موقع البئر الذي على الأرجح توجه اليه موسى ليقابل ابنتي شيخ القبيلة ثم الطريق من البئر الى مضارب القبيلة كما اتصور تطبيقاً على المواقع الجغرافية الحقيقية والتحرك المنطقي لموسى.

ابتسم صديقي بسعادة وقال: التصور محبوك للغاية . وصل اذن الى مضارب مدين كما نصحة الرجل المنقذ وكما دله الوحي، قلت: نعم.

﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَىَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِى ثَمَٰنِىَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَىَّ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾ ﴾[1] .

ويضيف الحديث الشريف : فخرج موسى مُتَوَجِّهًا نحوَ مَدْيَنَ لم يَلْقَ بلاءً قبل ذلك، وليس لهُ بالطريقِ علمٌ إلا حُسْنُ ظنِّه بربه عزَّ وجلَّ فإنَّهُ قال عَسَى رَبِّي أن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ، وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأتَيْنِ تَذُودَانِ يعني بذلك حابستَيْن غنمهما فقال لهما : ما خطبكما معتزلتَيْن لا تسقيانِ مع الناسِ ؟ قالتا : ليس لنا قوةٌ نُزاحِمُ القومَ وإنما ننتظرُ فُضُولَ حياضِهم، فَسَقَى لهما فجعل يغترفُ في الدَّلْوِ ماءً كثيرًا حتى كان أولَ الرُّعاءِ، فانصرفتا بغنمهما إلى أبيهما وانصرف موسى عليه السلامُ فاستظَلَّ بشجرةٍ وقال رَبِّ إنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إلى مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ

(١)القصص.

واستنكرَ أبوهما سرعةَ صدورهما بغنمهما حُفَّلًا بِطَانًا فقال: أن لكما اليومَ لشأنًا، فأخبرتاهُ بما صنع موسى، فأمر إحداهما أن تدعوهُ، فأتتْ موسى فدعتْهُ فلمَّا كلَّمَهُ قال لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ليس لفرعونَ ولا لقومهِ علينا سلطانٌ، ولسنا في مملكتِه، فَقَالَتْ إحداهما: يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ، إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ فاحتملتْهُ الغيرةُ على أن قال لها: ما يُدْرِيكِ ما قوتُهُ وما أمانتُهُ؟ قالت: أما قُوَّتُهُ فما رأيتُ منهُ في الدَّلوِ حين سقى لنا، لم أرَ رجلًا قطُّ أقوى في ذلك السَّقْيِ منهُ، وعنْ عمرَ بنِ الخطَّاب رضيَ اللهُ عنهُ أن موسى عليه السَّلامُ لمَّا وردَ ماءَ مَدْيَنَ وجدَ عليه أُمَّةً من النَّاسِ يسقونَ قال: فلمَّا فرغوا أعادوا الصَّخرةَ على البئرِ ولا يطيقُ رفعَها إلَّا عشرةُ رجالٍ، فإذا هوَ بامرأتَيْنِ تذودانِ، قال: ما خطبُكُما؟ فحدَّثتاهُ، فأتى الحجرَ فرفعَهُ ثمَّ لم يستقِ إلَّا ذنوبًا واحدًا حتَّى رَوِيَتِ الغنمُ(١).

ويكمل ابن عباس في حديثه الشريف القصة فيقول:

وأما الأمانةُ فإنَّهُ نظر إليّ حين أقبلتْ إليه وشَخَصَتْ لهُ، فلمَّا علم أني امرأةٌ صَوَّبَ رأسَهُ فلم يرفعْهُ حتى بلَّغْتُهُ رسالتكَ، ثم قال لي: امشي خلفي وانْعُتي لي الطريقَ، فلم يفعل هذا إلا وهو أمينٌ، فسُرِّيَ عن أبيها وصدَّقها وظنَّ به الذي قالت، فقال لهُ: هلْ لكَ أنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ففعل فكانت على نبيِّ اللهِ موسى ثماني سنينَ واجبةً وكانتْ سَنَتَانِ عِدَةً منهُ فقضى اللهُ عنهُ عِدَتَهُ فأتمَّها عشرًا. قال سعيدٌ هو ابنُ جبير: فلقيني رجلٌ من أهلِ النصرانيةِ من علمائهم قال: هل تدري أيَّ الأجلَيْنِ قضى موسى؟ قلتُ: لا، وأنا يومئذٍ لا أدري، فلقيتُ ابنَ عباسٍ فذكرتُ ذلك لهُ فقال: أما علمتَ أن ثمانيًا كانت على نبيِّ اللهِ واجبةً لم يكن لنبيٍّ أن يَنْقُصَ منها شيئًا، ويعلمُ أن اللهَ كان قاضيًا عن موسى عِدَتَهُ التي وعدَهُ فعدَّتُهُ التي وعدَهُ فإنَّهُ قضى عشرَ سنينَ، فلقيتُ النصرانيَّ فأخبرتُهُ ذلك فقال: الذي سألتَهُ فأخبركَ أعلمُ منكَ بذلك قلتُ: أجلْ وأَوْلَى (٢).

---

(١)الراوي: عمرو بن ميمون المحدث: ابن كثير المصدر: تفسير القرآن الصفحة أو الرقم 6/237 :خلاصة حكم المحدث: إسناده صحيح.

(٢)الراوي: عبدالله بن عباس المحدث: البوصيري المصدر: إتحاف الخيرة المهرة الصفحة أو الرقم 6/234 :خلاصة حكم المحدث: إسناده صحيح.

مرت الأعوام العشرة واستعد موسي للرحيل بأهله، زوجته وأبناءه ولا شك أنه رحل اشتياقا للحياة في الحضر التي اعتاد عليها وربما كان يعتمد علي تغير هيئته ونسيان المصريين لجريمته السابقة وينوي الحياة بعيدا عن العاصمة حيث الفرعون .. وربما اشتاق ايضا لزوجة الفرعون وكذلك اخته واخيه هارون عليه السلام وربما امه ولكن هل عاش موسي طوال هذه الفترة لا يعرف شيئا عما يجري في مصر؟ إن ما حدث في الوادي المقدس طوي يوحي بشئ بهذا الصدد .

يروي لنا المولى عز وجل في سورة القصص :

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ وَأَخِي هَـٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِيٓ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ ﴾ [1] .

كيف يطلب موسي من الله أن يدعمه بأخيه هارون عليه السلام وهو لا يعرف عنه شئ؟ لا يعرف إن كان علي قيد الحياة او هلك، خاصة وانه كان اكبر منه. ولاشك أن موسي توقع انتقام الفرعون من اسرة موسي حين لم يعثر عليه، هذا توقع موسي ولكن الحديث الشريف اخبرنا أن فرعون لم يكن يظلم فلا يأخذ احد دون بينه ولا بذنب احد آخر

فقيل لهُ : إن بني إسرائيل قتلوا رجلًا من آلِ فرعونَ فخُذْ لنا بحَقِّنَا ولا تُرَخِّصْ لهم . فقال : أبغوني قاتِلَهُ، ومن يشهدُ عليهِ، فإنَّ الملكَ وإن كان صَفْوُهُ مع قومِه لا يستقيمُ لهُ أن يُقِيدَ بغيرِ بينةٍ ولا ثَبْتٍ، فاطلبوا لي عِلْمَ ذلك آخُذْ لكم بحقكم (٢).

كيف اذن طلب موسي معاونة هارون عليه السلام له وهو لا يعرف عنه شئ ؟

﴿ وَأَخِي هَـٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِيٓ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ ﴾

---

(١)القصص.
(٢)الراوي : عبدالله بن عباس المحدث : البوصيري المصدر : إتحاف الخيرة المهرة الصفحة أو الرقم 6/234 :خلاصة حكم المحدث : إسناده صحيح .

فأرسله معي اي ارسلنا كلينا، هو اذن في طريقه لتنفيذ المهمة مرسلاً من الله ويطلب أن يُرسَل معه هارون عليه السلام، اين هو هارون آنذاك ليُرسَل مع موسى ؟

بدأ صديقي يفكر بعمق فيما اقول فتركته قليلاً وقلت:ثم تأمل معي يا صديقي هذه الآيات من سورة طه

﴿ ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفۡرُطَ عَلَيۡنَآ أَوۡ أَن يَطۡغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَآۖ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ ﴾

واضح هنا أن المولي عز وجل يخاطب الأخوين معاً، كلاهما في حضرته يتلقيان التكليف الدقيق ويعبران عن مخاوفهما ﴿ رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفۡرُطَ عَلَيۡنَآ أَوۡ أَن يَطۡغَىٰ ﴿٤٥﴾ ﴾ ، متكلم مثنى كما ترى، إن الله هنا يخاطب كلا الأخين فمن أين جاء هارون فجأة ليتلقي مع موسي اوامر الله ثم يتوجهان معا لمصر؟

هذا ما اتوقعه تفسيراً لهذا الموقف. حين استقر الحال بموسي عند مدين بدأ يفكر في اسرته امه واخته واخيه خوفا من ظنه الذي المحنا اليه بانتقام فرعون منهم وبعد أن اندمج مع قبيلة مدين والقبائل المجاورة استطاع أن يرسل رسولا لأخيه في مصر ربما بعد عامين اوثلاثة للاطمئنان المتبادل وليخبره عن موطنه الحالي وانتظر موسي عودة المرسل بالأخبار فإذا المرسل يعود بهارون نفسه والذي جاء هاربا مما صارت اليه الأحوال في مصر وحكي له عما حدث في مصر بعد فراره مباشرة

قال صديقي: فماذا قال له؟ قلت: روايتي عما حدث في مصر علي لسان هارون عليه السلام لن تكون متكاملة لأن المهم في أحداثها لا يمكن لهارون عليه السلام أن يعرفه، لذلك سأتدخل كراوي لأقص باقي ما حدث في مصر بما يفسر قول القرآن عن فرعون انه طغي، ولاحظ يا صديقي أن استخدام الفعل الماضي في وصف الحال يعني أن طارئا او جديدا حدث للموصوف لم يكن عليه من قبل او كان به بدايات ثم تمادي فيه لما يتخطي الحدود المسموحة او المقبولة. ثم اذهبا لفرعون انه طغي فقولا له قولا لينا لعله يذكر او يخشي، ستكون لي وقفة مع هذه الآية لأحاول تفسير ماذا يذكر ومم يخشي .

اما تفاصيل ما حدث في مصر مما لا يعرفه هارون عليه السلام وأستنتجه من سياق الأحداث فليس من المهم أن يكون موسي قد الم به قبل بدء تنفيذه مهمته في مصر لذلك فلن يكون هناك سقطة في مسار الرواية .والآن سأستعمل اسلوب العودة للماضي لأفسر كيف وصل هارون عليه السلام لموسي وماذا حكي له؟ وكمالة ما حدث في مصر.

مع بداية الاستقرار بدأ الإستغفار بصدق عن القتل وبدأ يتذكر ايامه في قصر فرعون ومع قومه.

بعد عامين أو ثلاثة من استقرار أحوال موسي استطاع أن يدبر مرسالاً لمصر بعثه برسالة لأخيه هارون عليه السلام يخبره عن مكانه بدقة وفوجئ موسي بأخيه هارون يلحق به بعد وقت قصير نسبيا فقد جاء مع نفس الرسول لضمان سهولة الوصول. كان هارون في حالة انهيار واسى أذهلت موسى فسأله بالحاح ولكنه استمهله حتى يلتقط انفاسه ويستريح من السفر الطويل المرهق، وتذكر موسى كم عانى هو نفسه في سلوكه لهذا الطريق قبل ثلاثة اعوام وكم أُنهِك فترك هارون لينام في بيته بعد أن تناول الطعام والشراب. نام هارون مستغرقاً آمناً ربما للمرة الأولى منذ ثلاث سنوات ولكن أحداث هذه السنوات الرهيبة لم ترحمه في نومه فهاجمته الكوابيس والأحلام المزعجة فتفزع اكثر من مرة في نومه بصورة ادهشت موسى فأنتظر بفروغ الصبر استيقاظ هارون والذي لم يحدث الا بعد قرابة العشر ساعات. استيقظ هارون منهكاً فوجد موسى يجلس قبالته مترقباً، ولأنه يعرف طبع اخيه جيداً لم ينتظر حتى يسأله بل بدأ في الحديث فقال : بعد هروبك الذي لم نفهم سره الا بعد عدة ايام عندما تكلم ابن جلدتنا الذي انقذته من الفرعوني، اعلن جند هامان عن احتفال كبير يقام يوم الزينة وتنبه على الجميع بحضور هذا الإحتفال لأن فيه اعلان هام وحقيقة جديدة يجب أن يعرفها الجميع، وبالطبع حضر الجميع في الميدان الكبير في الوقت المحدد لنجد منصة عرض اكبر من سابقاتها يتوسطها كرسي عرش فرعون وحول العرش هامان وبعض الجنود للحراسة الشرفية، فهل يجرؤ احد على تهديد فرعون .

وبعد أن امتلأ الميدان عن آخره بدأ الإحتفال بظهور مجموعة من السحرة من بني جلدتنا والذين اذكر بعضهم حين كانوا يعيشون معنا ثم اختفوا فجأة ولم نعرف اين ذهبوا .ثم عادوا للظهور مرة اخرى في الإستعراض الكبير الذي حدث منذ قرابة الاربعة اعوام، ومُنِعتْ بعدها من دخول مدينتنا والتواصل معنا .قال موسى مندَهشاً : سحرة منا مرة اخرى ؟قال هارون اسفاً : نعم، قال موسى :سحرة منا مع السحرة المصريين ؟ لماذا ؟ استعراض آخر أكبر ؟ قال هارون:لم يكن هناك سحرة مصريين كلهم كانوا منا. فزاد اندهاش موسى وسكت منتظراً باقي حديث هارون عليه السلام الذي قال : بدأ عرضاً من نوع غريب بأعمال سحرية وبخور كثيف وتمتمات متنوعة وغير مفهومة وبدأت مرئيات غريبة في الظهور ولكن البعض لم يرها وان رأتها الغالبية وبدا عليها الإنبهار الشديد، ووسط كل هذه الأجواء السحرية ظهر الفرعون جالساً على عرشه في منظر مهيب وأعلن السحرة أن الفرعون صار الإله الواحد وأن ما رأيناه من معجزات قام بها هو كدليل على أنه الإله المعبود، ولتأكيد اقتناعهم بذلك سجد له السحرة وهامان والجنود ورجالنا وآل فرعون، بل واجبر الناس على السجود، فسجد البعض مكرهاً وسجد البعض مقتنعون..لقد أله فرعون نفسه. انتفض موسى منزعجاً وقال : اله ؟ بشر ؟ هذا امر لم يسبقه اليه فرعون كما عرفنا، مَن الشياطين الذين اقنعوه بهذه الفكرة فهذا ليس فكر الفرعون، انا اعرفه جيداً.قال هارون: هذا صحيح ولكن الأمر محير ؛ لماذا هذا التوقيت ؟ واذا كان سحرتنا قد ساعدوه في ذلك فهل كان لرجالنا مثل قارون دوراً في ذلك ؟ قال موسى :ولماذا ؟ ما مصلحتهم في هذا ؟ اننا موحدون فكيف نشارك او يكون لنا دور في هذا الكفر بالله؟ صحيح أن موقف السحرة محير ومثير للشك ولكن ..في الأمر سر .

قال هارون: الغريب انه فرض عبادته على المصريين وعلينا ولكنه لم يفرضه علي الوثنيين الذين يعيشون في مصر ولكنهم اذعنوا له وعبدوه . قال موسي :الوثنيون ؟ ماذا تقصد ؟ قال هارون عليه السلام : لقد رأيت أثناء الإحتفال بل وبعده ذلك السامري غريب الأطوار، اتعرفه ياموسى ؟ قال : نعم رأيته بضعة مرات حينما كان مسموح لي بدخول المدينة وعجبت من تقربه من قومنا رغم انه وثني، ماذا عنه ؟ قال هارون: ادعى انه موحد مثلنا . اثناء الإحتفال كان يتحرك بنشاط بين جموع الحاضرين يروج لما يراه الناس ويضخمه في اعينهم ويمجد من يستطيع القيام بهذه الاعمال، وعندما ظهر الفرعون واعلنوا تأليهه كان اول من سجد مؤمناً له وحث الناس على السجود خاصة قومنا فاستجابوا له . وسأل موسى: وهل سجدت ياهارون ؟ قال هارون أسفاً :لم يكن امامي الا هذا والا ماكنت في عداد الأحياء الآن، سجدت ولكن مكرهاً بنية أن سجودي هذا لله الحق وليس لبشري . فعانقه موسى سعيداً ثم قال : وماذا بعد عن هذا السامري ؟ قال هارون عليه السلام : رأيته بعد الإحتفال وعلى مدى ايام يحاول اقناع قومنا بصدق الوهية فرعون موضحاً أن الإله المجسد المرئي هو الأحق والأنفع والأجدى في عبادته والأسرع استجابة للطلبات ..والمؤسف أن الفكرة لاقت رواجاً بين اغلب قومنا خاصة الشباب. فسكت موسى حائراً مفكراً حزيناً ثم سأل هارون:وماذا كان موقف الشعب المصري ؟ قال هارون: اما بنو إسرائيل فقد خضعوا بطبيعتهم المتلونة لحكم فرعون ومارسوا عبادته تحت تهديده ولكن حكماءهم آثروا السلامة بخداع فرعون بإيمانهم به صابرين علي ما يحدث لأنهم ادركوا منه قرب تحقق النبوءة الإلهية والتي اصبحت جزاءا منطقيا لما وصل اليه فرعون الآن. واما الشعب فقد تمرد ورفض، البعض أكره بخداع السحرة فتأثر به ولكن غالبية الشعب لم يجرؤ عليَ المواجهة فأظهر الإذعان وابطن البقاء علي الإيمان بالله.

وعندما عرف موسى من هارون السبب في انهياره، حزن لتدهور الأحوال في مصر خاصة احوال قومه واحوال بني إسرائيل عامة بل واحوال شعب مصر نفسه لأن موسى يعرف أنه موحد ولا يمكن أن يقبل أن يدعي بشر انه الإله الواحد ويفرض عليهم عبادته والتسليم بذلك .

ولكن مالم يعرفه هارون ليخبر به موسى، انه مع هروب موسي وضح للسامري والصفوة انه سيعود بتكليف النبوة لتحقيق النبوءة واكد ذلك تفاؤل الحكماء بنجاح موسى في الهرب بجريمته من جند هامان لذلك سارع الصفوة وهامان للترتيب لتأليه فرعون، وكانت البداية أن الصفوة وهامان اقنعا فرعون أن موسي هو النبي الموعود وانهم كانوا مطمئنين طالما هو تحت سيطرة فرعون وسيطرتهم ولكن هروبه بعد هذه الجريمة والتي تعد بداية للنبوءة بقتل آل فرعون ثم فرعون نفسه يؤكد انه هو النبي الموعود وذكروه بواقعة الذقن القديمة، وايدهم السحرة الذين فاجأوا فرعون -بتحريض من الصفوة وهامان- انهم يستطيعون بسحرهم أن يقنعوا الشعب بأن فرعون صار الهاً، واضاف الصفوة وعلي رأسهم قارون ومعهم هامان أن تأليهه سيكون هو الحل الوحيد لمواجهة موسي حين يعود لتحقيق النبوءة فسيصير فرعون إلها يقابل إله موسي امام شعب مصر الذين سينحاز بفعل السحرة لإلههم الفرعون بل إن السحرة سيقنعون الشعب بسحرهم انه إله بالفعل. وراقت الفكرة لفرعون رغم تحذير زوجته الأولي ولكن زوجته الثانية وأم ابنته ومعها ابنته شجعتاه علي ذلك بالتنسيق مع الصفوة وهامان وآل فرعون الذين يهمهم أن يكونوا من آل الإله فيكونوا هم من نسل آلهه او انصاف آلهة . تنامت الفكرة في نفس فرعون ثم اكدها اقناع قارون وهامان له انه بالفعل إله لأن امجاده وافعاله لا يقدر عليها الا إله وسجد له قارون الموحد وكل الصفوة وسجد هامان فصدق انه إله.

تعجب صديقي وتساءل : أن يسجد له هامان فهذا محتمل، ولكن احفاد ابراهيم واسحاق ويعقوب ويوسف عليهم السلام، ايشركون بالله بهذه الصورة الفجة ؟ فقلت : نعم، من اجل مصلحتهم وطاعة لإلههم الأعظم..المال، وهذا ليس بغريب عليهم، الم يسجد وفد يهود خيبر امام اللات والعزى في مكة تأكيداً على أن دين قريش اصدق من دين الإسلام ؟

لقد قال القرآن عن ذلك في سورة النساء:

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ﴿٥١﴾ ﴾.

فأومأ صديقي مؤمناً ونظر إليّ منتظراً استكمال الرواية. فابتسمت راضياً وقد زاد حماسي فقلت:

اعلن فرعون ذلك وامر كل من يعيش علي ارض مصر بعبادته لأنه إلههم الواحد الذي يؤمنون به. هنا شعر قارون والصفوة وجنود فرعون وهامان وآل فرعون بالسعادة البالغة لهذا الوضع وكل له اسبابه، قارون والصفوة ادركوا انهم خطوا خطوة هامة كبيرة في سبيل حماية مصالحهم والمرتبطة بوجود هذا الفرعون بل ومن سيأتي بعده لأنه سيسير علي نفس النهج فتتواصل حظوتهم عنده . آل فرعون ادركوا ما سيتمتعون به من امتيازات لكونهم من نفس نسل الإله.هامان والجنود ستزداد امتيازاتهم باعتبارهم جند الإله فمن سيرفض لهم طلبا او يعصي.

ومن هنا اعلن فرعون التأليه في سابقة لم تحدث من فرعون قبله وهذا هو الطغيان الذي اصابه كما في الآيات: «انه طغي»، واطمئن قارون وهامان إلى القدرة علي مواجهة موسي حين يأتي بآيات النبوة وقدراتها، سيواجهه السحرة والجنود بل والشعب المسحور والمقهور. وساهم السامري بجهوده مع عامة بني إسرائيل لإقناعهم من ناحية وارهابهم من ناحية أخرى، ومن هنا يتصاعد دور قارون بتحريض من السامري ويقنع فرعون بعودة بني إسرائيل للسخرة التي كان موسي قد رحمهم منها ووافق فرعون لتأكيد الوهيته وتصعيد انجازاته المعمارية وهي مهمة قارون. وواصل السامري دعمه لتأليه فرعون بين بني إسرائيل فاستكانوا وسلموا، وكان المصريون اشد رفضا لتأليه فرعون من بني إسرائيل وعلي رأس هؤلاء زوجة الفرعون الأولي راعية موسي والتي ايقنت بنهاية فرعون الموعودة علي يد موسي بعد طغيانه هذا وكفره بالله،

واعترض بعضهم علناً على الوهية فرعون وكانت المصرية ماشطة ابنة فرعون من ضحايا هذا الطغيان؛ لإصرارها على اعلان وحدانية الله امام فرعون والتي جاء ذكرها في الحديث الشريف:

لمَّا كانت ليلةُ أُسرِيَ بي أتَيْتُ على رائحةٍ طيِّبةٍ فقُلْتُ يا جبريلُ : ما هذه الرَّائحةُ قال : هذه رائحةُ ماشِطةِ ابنةِ فرعونَ وأولادِها قُلْتُ وما شأنُها قال : بَيْنَا هي تُمشِّطُ ابنةَ فرعونَ ذاتَ يومٍ إذ سقَط المِدرى من يدِها فقالت : بسمِ اللهِ فقالت لها ابنةُ فرعونَ : أبي قالت : لا ولكن ربِّي وربُّ أبيكَ اللهُ قالت : أُخبِرُه بذا قالت : قالت : نَعم فأخبَرَته فدعاها فقال : يا فلانةُ وإنَّ لكِ ربًّا غيري قالت : نَعم ربِّي وربُّك اللهُ وأمر بنُقرةٍ من نُحاسٍ فأُحمِيَت ثُمَّ أمَر أن تُلْقَى هي وأولادُها فيها قالت له أن لي إليكَ حاجةً قال : وما حاجتُكِ قالت : أُحِبُّ أن تجمَعَ عظامي وعظامَ أولادي في ثوبٍ واحدٍ فتدفِنَنا جميعًا قال : ذلكِ علينا من الحقِّ قال : فأمَر بأولادِها فأُلقُوا بينَ أيديها واحدًا واحدًا إلى أن انتهى ذلك إلى صبيٍّ لها مُرضَعٍ كأنَّها تقاعَسَت من أجلِه قال : يا أُمَّهْ اقتَحِمي فإنَّ عذابَ الدُّنيا أهونُ من عذابِ الآخرةِ فاقتَحَمت(١).

وبعد واقعة الماشطة قرروا كتم ايمانهم الحقيقي والتظاهر بعبادة فرعون تحت ضغط جنود فرعون وهامان، وعاد بنو إسرائيل للسخرة، وكأن موقف اخفاء الإيمان تحت الضغط غير المحتمل كان مقدمة لموقف عمار بن ياسر بعد قرون:

﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ١٠٦ ﴾ (٢) .

هذه الآية كأنها تتحدث عما حدث ايام فرعون كدليل على ثبات العقيدة واحكامها.

(١)الراوي : عبدالله بن عباس المحدث : أحمد شاكر المصدر : مسند أحمد الصفحة أو الرقم 4/295 :خلاصة حكم المحدث : إسناده صحيح.
(٢)النحل.

وما أن وصل مرسال موسي لهارون حتي سارع بالهروب اليه مع المرسال . واستقرت الأحوال لفرعون في مصر والذي صنف الشعب الي جنوده وجنود هامان ثم صفوة بني إسرائيل ثم المصريين ثم عامة بني إسرائيل، وميز بعضهم عن بعض،ولكن السامري والصفوة كانوا يعرفون أن موسي سيعود بالنبوة ولكن متي؟ وكيف سيحقق النبوءة؟ لا احد يعرف ولكنهم مستعدون.

وعلي جانب آخر كان الحكماء ينتظرون النجاة علي يد موسي ولعله كان من المصريين من ينتظر تحقق النبوءة الخاصة بفرعون وموسي ليتخلصوا من طغيان فرعون ..لم يذعن لعبادة فرعون الا عامة بني إسرائيل بالدعم المستمر من السامري،وبطبيعتهم المتمردة المتلونة.

عاش هارون مع موسي وشاركه العمل ولكن بأجر واخلاص وربما يكون قد تزوج ايضا مثل موسي والمنطقي أن تكون زوجته هي شقيقة زوجة موسى وانجب منها، ولكن حنينه لمصر لم ينقطع لا هو ولا موسي شأنهم شأن كل اصيل ولد وعاش وتربي في مصر.

وفكر موسي مع هارون في العودة لمصر خُفية، علي أن يستقروا بعيدا عن العاصمة ولن يعرفهم هناك احدا فيواصلوا حياتهم بعيدا حتي عن قومهم وعن بني إسرائيل. ولكن الم يكن موسي وهارون من بني إسرائيل؟ الدلائل تشير إلى أن موسي وهارون لم يكونا من سلالة بني إسرائيل ولكنهما أبناء عمومة لكون كلاهما من نسل أبناء نبي الله يعقوب الإثني عشر، فقوم موسي من نسل « لاوي » كما ورد في التوراة الأصلية، وإسرائيل وبنيه من نسل ابن آخر من أبناء يعقوب لعله يهوذا .

كما أن الآيات القرآنية لم تشر إلى أن نبي الله موسي من بني إسرائيل وكذلك الأحاديث الشريفة، كان ذلك قبل الخروج من مصر اما بعد الخروج فقد شمل تعبير القوم قوم موسي وبني إسرائيل معا اي كل سلالة نبي الله يعقوب .

﴿ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِيٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٖ يَٰمُوسَىٰ ٤٠ ﴾ (١) .

---

(١)طه.

بعد انتهاء مدة الأعوام العشر في العمل لدى حميه شيخ مدين كصداق لإبنته، قرر موسى أن يرحل بأهله ومعه هارون عائدا لمصر كما خطط . وبدأوا رحلة العودة والتي كانت من نفس طريق قدومه اي من خلال القطاع الأوسط لسيناء وسط الجبال، ولكنه تاه هذه المرة بهم في هذه الطرق الوعرة المتقاطعة الدائرية وسط الجبال. ومع تأكده من التوهان توقف بهم ثم شاهد النار، والقرآن الكريم يحكي هذه الواقعة بشكل متكامل وواضح، ففي سورة طه :

﴿ وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿٩﴾ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾ وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴿١٤﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ ﴿١٦﴾ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِىَ عَصَاىَ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى وَلِىَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ ۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴿٢١﴾ وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾ لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى ﴿٢٣﴾ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ﴿٢٨﴾ وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِى ﴿٣٠﴾ ﴾ (١).

(١)طه.

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي ۖ إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ ﴾ (١).

﴿ اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ﴿٣٢﴾ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ ﴾ (٢) .

﴿ اذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي ﴿٤٢﴾ اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَا ۖ إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ ۖ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ ۖ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ ﴿٤٧﴾ ﴾ (٣) .

﴿ قَالَ كَلَّا ۖ فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا ۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٧﴾ ﴾ (٤) .

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ اللَّهِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥﴾ ﴾ (٥)

﴿ وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ ۖ وَلَقَدْ جَاءَهُم مُّوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾ (٦) .

---

(١) القصص.
(٢) طه.
(٣) طه.
(٤) الشعراء.
(٥) ابراهيم.
(٦) العنكبوت.

تلقى الرسولان الأوامر الإلهية وبدأا خطوات تنفيذها بالرحيل مع اهلهما لإستكمال طريقهما الى مصر بعد أن زال سبب ضلالهما عن الطريق الصحيح، واتصور أن هذا الضلال الأول او التيه عن الطريق كان اشارة الى مدى الضلال والتيه الذي وصل اليه بنو إسرائيل – وهم قوم موسى وهارون عليهما السلام– بسبب فتنة الفرعون والسامري في مصر، فكانت الهداية للعودة للطريق القويم فيما حدث في وادي طوى وارسال الله الرسولين الأخوين لمنح بني إسرائيل الفرصة للفرار من طغيان فرعون الذي يبدو انهم استمرأوه وركنوا له بل واقتنعوا به واستسلموا لخداع السامري وهم مقدر لهم أن يكونوا اصحاب اول كتاب سماوي ..تاه موسى واخيه بتوهان قومهما ثم هداهما الله للطريق القويم ليهديا قومهما.

قال صديقي متأملاً ما سمعه : بدأت اذن الرحلة الخطرة للمواجهة الحاسمة واعتقد انها ستكون موضوع الفصل الثالث من رواياتك. قلت :هذا صحيح بأمر الله، ولكنني قبل أن انهي هذا الفصل اريد أن اتوقف امام بعض النقاط التي ارى أن القاء الضوء عليها يكمل مضمون هذا الفصل بل وسيضيئ لي الطريق في باقي الرواية. قال صديقي بإهتمام : وماهي ؟قلت : آيات يستوقفني نصها وماجاء فيها، الأولى : ﴿ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ ﴾ يرسل الله رسولان الى طاغية متجبر ومفسد، والرسولان مدعمان بقدرة الله وبآيات معجزة فلماذا يقولان له قولاً ليناً وليس مهدداً ومنذراً اوحتى قولاً حاسماً كما حدث من كل الأنبياء والرسل في مراحلهما الفاصلة مع اقوامهم الطغاة المشركين، لماذا ؟ قال صديقي :الإجابة في باقي الآية ﴿ لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾ قلت : وهذه تكمل حيرتي، ماذا يتذكر ؟ ومم يخشى ؟

اطرق صديقي بعض الوقت ثم قال : الحق معك، الأمر يدعو الى التساؤل . قلت : ومما يزيد من الحيرة الآية التالية ﴿ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ ﴾

قال صديقي : الله يأمر رسوله عليه السلام أن يقول لفرعون قولاً ليناً لعله يتذكر، ويأمره أن يذكر قومه بأيام الله، يُذكر الطاغية بقول لين ويُذَكر المعذبين المضطهدين احفاد يعقوب وابراهيم بنعم الله عليهم وسابق رعايته جل وعلا لهم، معنى ذلك انهم ضلوا ويحتاجون للهداية من جديد على يد رسولهم قلت هذا هو الإحتمال الأرجح والذي سيتأكد حين يلتقي موسى وهارون عليهما السلام ببني إسرائيل حين عودتهما لمصر بالتكليف الإلهي . قال :فماذاعن تذكر فرعون او خشيته قلت : لا تفسير الا انه يتذكر زمان توحيده وتوحيد اجداده ويعود لعبادة الإله الواحد، ويخشى نتائج جبروته وتقسيم الشعب لطوائف ويستعبد احداها، حتى لو كان بملء ارادتهم ورضاهم. هو اضلهم وهم استجابوا وركنوا الى الضلال . قال صديقي: ولين القول ؟ قلت: ربما لشدته وجبروته وخوفهما من أن يطغى عليهما كما قالا رغم انهما في حماية الله، او أن القول اللين يؤثر في القلوب المستعدة للإيمان كما قال الله لرسوله الكريم ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ﴾[1] وقال له ايضاً ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ﴾[2].. لأن الله كان يرى في قلب هذا الفرعون بذرة توحيد طيبة ربما تثمر حين ترى الآياتين المعجزتين اللتين دعم بهما المولى نبيه موسى عليه السلام ﴿ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ ٱلْآمِنِينَ (٣١) ٱسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ (٣٢) ﴾ .بجانب فصاحة وقوة حجة نبيه الأخر هارون عليه السلام : ﴿ فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ (٤٧) ﴾ او لكل هذه الأسباب، الله اعلم.

---

(١)آل عمران.
(٢)النحل.

ولاحظ ياصديقي نص الآية الأخرى التي صورت نفس الموقف وهي في سورة الشعراء، تقول الآية الكريمة : ﴿ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٧﴾ ﴾ (١) ..في آية سورة طه قال : إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ..وفي سورة الشعراء قال : إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ، اي أن الله يقول لفرعون، ربك هو رب العالمين فلا تدعي انك الإله الواحد.

ابتسم صديقي وقال : هل هناك آيات اخرى تستوقفك ياصديقي؟

قلت باسماً : نعم، في الآية التاسعة والثلاثون من سورة العنكبوت يخبرنا المولى عز وجل أن نبيه موسى عليه السلام أرسل الى قَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ، وفي الآية الرابعة والعشرون من سورة غافر يخبرنا انه ارسل الى فرعون وهامان وقارون ..قارون اذن واحد من مثلث الشر المضطهد لبني إسرائيل وهو من قوم موسى كنص الآيات من السادسة والسبعون وحتى الثانية والثمانون من سورة القصص، والتي بدايتها :

﴿ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ ﴾ اذن ماتوقعته من دور صفوة بني إسرائيل وعلى رأسهم قارون – صحيح الى حد كبير والدليل أن كبيرهم كان من ضمن المستهدفين برسالة الإصلاح والتقويم التي جاء بها موسى عليه السلام متساوياً مع فرعون وهامان، وهذا التوقع سيتأكد اكثر في الفصل القادم إن شاء الله.

قال صديقي : إن شاء الله، الى الغد اذن مع الفصل الثالث.

---

(١)الشعراء.

الفصل الثالث: فرعون

في مساء اليوم التالي تأخرت قليلا في الذهاب لصديقي والذي استقبلني عاتباً لسبب لم افهمه فتأخيري لم يتجاوز نصف الساعة وكان لسبب خارج عن ارادتي .. مهمة عائلية اجبارية مفاجئة وعندما سألته عن سبب عتابه قال (ممازحاً): خفت عليك، قلت: مم؟ قال: من عملاء الماسونية أن يكونوا قد عرفوا بما انت بصدد كشفه من حقائق تاريخية تزيد من ادانتهم فقرروا تصفيتك واخفاء روايتك وهذا ليس بمستغرب منهم. فضحكت من تصور صديقي فقال:لا تضحك انك بصدد كشف تاريخي هام لا يسرهم على الإطلاق الإعلان عنه، فقلت من بين ضحكاتي: معك الحق، الحل هو تصفيتي، ولكن ربما قالوا أن صديقه هذا قد سمع منه ما كتبه في الفصلين الأولين وربما يكتبه من جديد فنصفيه هو الآخر، فشاركني صديقي الضحك وهو يقول: نعم ولكنني لم اسمع باقي الرواية بعد، فقلت: ستسمعها حالا، فقال باهتمام: هات من عندك، قلت:

سار الأخوان ومعهما اهليهما وعلى كتفيهما عبء ثقيل للغاية، لقد ادركا انهما صارا من الأنبياء الرسل بعد يوسف عليه السلام ولكن مهمتهما شاقة للغاية ربما اشق من مهمة يوسف عليه السلام، لأن عليهما مواجهة فرعون مصر بكل جبروته وطغيانه كما وصفه الله في حديثه لهما في الوادي المقدس طوى بقوله :

﴿ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ ﴾ (١).

ولكن مهمتهما الأساسية ليست دعوة الفرعون للعودة إلى طريق الله الذي عرفه اغلب حياته وسار عليه كل اجداده الفراعين، ولكن الهدف الأساسي هو اقناعه بالسماح لبني إسرائيل بالخروج معهما من مصر فهل سيرضخ ويوافق ويكون ذلك بداية للخروج من ضلاله والعودة للحق؟

(١)طه.

هذا متوقف علي اسلوبهما في توجيه الرسالة . ثم تذكرا أن النبوءة التي عَرَّضت بني إسرائيل لتذبيح مواليدها من الذكور تؤكد هلاك فرعون علي يد نبي يخرج في بني إسرائيل، وها هو النبي بل نبيان وها هما علي وشك المواجهة معه فالمتوقع أن يرفض ليكون في ذلك سبب هلاكه ولكن كيف يهلك مثل هذا الطاغية الجبار؟... استغفرا الله سريعا من هذا التساؤل الذي القاه الشيطان في عقليهما ليحبطهما ويخذلهما عن تنفيذ الرسالة الإلهية، فهما يعرفان أن قدرة الله لا حدود لها..سيهلك اذن علي ايديهما وسيعرفان كيف هلك وربما شاهدا ذلك، وسيخرجان ببني إسرائيل. ثم سكتا متسائلان هل سيقبل بنو إسرائيل الخروج معهما من مصر التي عاشوا فيها قرون لا يعلم عددها الا الله؟ وكان هارون عليه السلام اشد قلقا من أخيه لأنه رأي بنفسه كيف خضع بل اقتنع سريعا بنو إسرائيل بإلوهية فرعون وعبدوه باخلاص في الوقت الذي تذمر فيه المصريون انفسهم ورفضوا الإيمان له ..وكل ذلك كان بفعل السامري الملعون والذي لم يفهم هارون عليه السلام سره ولا سبب استخدامه للأساليب الشيطانية في اقناع بني إسرائيل بفكرة تجسيد الإله كدليل علي وجوده، تري اين ذهب هذا السامري؟ هل لا يزال في مصر؟ وما هو دوره الآن؟ وما هو حال بني إسرائيل الآن في ظل عبادة الفرعون؟ بل وكيف صار حال الفرعون الإله الآن؟ كل هذه الاسئلة راودت خلد هارون عليه السلام وهما في طريقهما لمصر هذا الطريق الذي صار آمنا وواضحا بلا ضلالة حيث سلكا نفس طريق خروج كل منهما من مصر منذ سنوات حتي اقتربا من حدود عاصمة مصر وقد ارادا أن يستطلعا الأحوال العامة في العاصمة فقط، فطريقهما الى مدينتهما بعيداً عن طريق العاصمة كما رأينا على الخريطة رقم (١).

وفي طريقهما تذكرا كيف كان نشاط جند هامان في مراقبة الطرق ومداخل العاصمة فاتخذوا حيطتهما من هذا ولكنهما فوجئا باختفاء الجنود من الطرق ومداخل العاصمة، فدخلا العاصمة وحرصا علي أن يكون ذلك ليلاً . لم يجدا تغييراً ملحوظاً فالهدوء هو الهدوء ولم يتغير إلا تقاعس الجنود في المراقبة، ثم توجها إلى مدينتهما فدخلاها فوجداها ساكنة بلا حركة وكأنها مدينة أشباح فتوجها إلى منزلهما فوجداه خاليا كما تركه هارون عليه السلام بعد وفاة امهما ولم يجدا اختهما فظنا انها في خدمتها في قصر فرعون فقد كانت زوجته ترعاها

ولاشك أن هذه الرعاية قد زادت بعد وفاة امها وغياب اخويها، فالمتوقع أن تكون اقامتها الدائمة هناك في القصر، فاستقرا في المنزل يرتاحا فيه من وعثاء وارهاق السفر الطويل هما واهليهما .. ولكي يقررا ماذا سيفعلان غدا وكيف يقابلان الفرعون ومن قبلة قومهما حين يقابلاهما صباحا؟ كيف سيقابلانهما؟ وهل سيعرفاهما؟ وهل يخبراهم عن مهمتهما ورسالتهما اولا ام بعد لقاء الفرعون؟ وباتا ليلتهما وهما يفكران في كل هذه الأمور وان كنت اشك أن يزور النوم من هو مقدم علي مثل هذه المهمة التي قد تكلفه حياته بل وحياة اهله كلهم.

في الصباح فوجيء الصبية الصغار اثناء لعبهم أن هناك من يسكن هذا المنزل المهجور فطيرا الخبر في ارجاء المدينة ، لذلك عندما خرج الرسولان من منزلهما للذهاب لجلب الماء من النيل كما تعودا وجدا هناك الكثيرين من قومهما، لم يعرفهما الشباب بالطبع ولكن الرجال عرفوهما وتباينت ردود الأفعال.

البعض اندهش من عودتهما بعد هذه السنوات ولم يعرف لها سببا.. بل وعادا إلي مدينة بني إسرائيل التي هرب منها كلاهما، موسى من جريمة قتل وهارون عليه السلام مخالفا أوامر الإله بعدم مغادرة مصر خاصة من بني إسرائيل الا باذنه.. هما أذن يعرضان انفسهما وحياتهما للخطر فلماذا عادا؟ والقلة القليلة كانت تعرف رأي حكمائها بأن موسى هو النبي المنتظر والذي سيهدم عرش فرعون فهل عاد بالفعل لتحقيق النبوءة ولكن كيف؟ هذه القلة القليلة انقسمت ايضا لفريقين:

الأول: تخوف بشدة من نتائج هذه العودة وتشائم منها خاصة وان متاعب بني إسرائيل من السخرة كافية ولا داعي للمزيد من هذه المتاعب.

الثاني: تفاءل بحذر من هذه العودة وفضل الترقب حتي يعرف الهدف من هذه العودة ويري نتائجها.

ولكن البقية الباقية من الحكماء تفاءلوا خيرا واستبشروا بقرب زوال الغمة عن بني إسرائيل بل ومصر كلها وقررا أن يحاولا معرفة الهدف من العودة من موسى واخيه ليتخذا موقفا من هذا الهدف، عليهم اذن أن يستقبلونهما ويعرفان منهما سر الزيارة ولكن بعد أن يرتاحا من السفر.

اما اهم من تعرف عليهما فهو الرجل الإسرائيلي الذي ورط موسى في جريمة القتل، هذا الشيطان الرعديد الذي تصوران موسى سيقتله فكشف سر جريمته والتي بسببها هرب من مصر. هذا الرجل بطبيعته الشيطانية صار من اهم اعوان السامري وعيونه في بني إسرائيل، لذلك فما أن تأكد منهما وتسمع لرأي الحكماء فيهما حتي أسرع لإبلاغ السامري بما حدث فانزعج بشدة وامره بمراقبتهما واخباره عن تحركاتهما اولا بأول فاسرع ينفذ الأوامر، فشاهدهما - بعد أن وفرا الإستقرار لأهليهما - شاهدهما يتوجهان إلى قصر الفرعون لطلب مقابلة الفرعون لأمر هام علي انهما رسولان يحملان للفرعون الإله رسالة هامة من لدن ملك عظيم وهذه الرسالة شفاهية وتهم حياة الفرعون ثم غادرا القصر في انتظار تحديد موعد لهما، غادراه وهما لا يصدقان انهما خرجا بسلام فقد دخلاه وهما في حالة رعب شديد رغم وجود الله ووعده برعايتهما وضمانه عز وجل لأمنهما . شاهد الجاسوس كل هذا وسمع كلامهما واسرع للسامري يبلغه بما حدث فأسرع السامري ليري الأخوين وما أن شاهدهما حتي ارتعدت فرائصه ممن شاهد حولهما ومرافقا لهما وايقن انهما رسولان بالفعل.. انهما الرسولان المنتظران لتحقيق النبوءة لأنه شاهد جبريل عليه السلام يرافقهما. واسقط في يد السامري ولكنه اسرع إلى الصفوة وهامان يبلغهما بالخبر لكي يخبروا الفرعون ويعدوا العدة لهذه المواجهة التي يجب أن تحدث سريعا، فبدأوا التحرك فوراً.

وقبل أن نروي تفاصيل ما حدث في المواجهة كما عرفناه من القرآن الكريم والسنة المطهرة المعصومة فلنحاول تحليل شخصية الفرعون، وذلك لتفسير تصرفاته السابقة واللاحقة وكيف أن عوامل تدمير الذات كانت متوفرة في شخص هذا الفرعون. لست محللا نفسيا متمرسا ولكنني اجتهد في محاولة فهم شخصية فرعون موسى عليه السلام بناءا علي ما جاء عنه في القرآن الكريم والسنة المطهرة. الموقف الأول حين إهتز فرعون من نبوءة نبي بني إسرائيل الذي سيهدم ملكه فيأمر بتذبيح كل المواليد الذكور من بني إسرائيل مع بشارة قرب مولده والحقيقة انه تصرف مضطرب متسرع يدل علي اهتزاز في الشخصية، هو موحد بالإله وهو الله ومؤمن بالبعث

وهذا ما الفى عليه آباءه واجداده، ولكن هذا الفرعون متميز في انجازاته خاصة العمرانية والحضارية حتي وصفه القرآن الكريم في سورة الفجر بقوله : ﴿ وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ ﴾ (١)، والأوتاد هي التي تثبت الأركان لكل شئ وتجعله مستقرا لقوله تعالي في سورة النبأ ﴿ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ ﴾ كانت احوال الدولة المصرية اذاً في عهد هذا الفرعون ثابتة ومستقرة، هو اذن حاكم ناجح وصالح ثم تسرب اليه شياطين بني إسرائيل وعلي رأسهم قارون بمعاونة شيطانه الكبير هامان لكي يسيطروا عليه ويوجهونه لما يحقق مصالحهم . وسخر الصفوة من بني إسرائيل عامتهم للعمل لتحقيق اغراضهم.

لاحظت علي صديقي صمتا غريبا فسألته فقال: لماذا يخضع عامة بني إسرائيل لصفوتهم دون فائدة واضحة؟ فقلت: اولاً القرآن الكريم ذكر ذلك في سورة القصص حين تحدث عن قارون وانه كان من قوم موسى عليه السلام فبغي عليهم ووصف ثروته المهولة من نتائج هذا البغي ايا كان مجال السخرة سواء في العمل في البناء او خدمة النساء في بيوت فرعون وآله وملأه او كلايهما:

﴿ إِنَّ قَـٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ ﴾ (٢) ..وتذكر يا صديقي أن الله عز وجل ارسل موسى عليه السلام برسالته التحذيرية لكل من فرعون وهامان وقارون في سورة غافر حين اتهموه بالسحر

﴿ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ وَقَـٰرُونَ فَقَالُوا۟ سَـٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾ ﴾ (٣) .

بل انه عز وجل في سورة العنكبوت قدم قارون علي فرعون وهامان في الإستكبار في الأرض امام البينات في اشارة واضحة إلى التحالف الثنائي بين آل فرعون وصفوة بني إسرائيل بقيادة قارون

(١)الفجر.
(٢)القصص.
(٣)غافر.

﴿وَقَـٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُوا۟ سَـٰبِقِينَ ﴿٣٩﴾﴾ .وأخيرًا فان تقسيم بني إسرائيل إلى صفوة وعامة مبدأ ازلي ابتدعوه منذ نشأتهم الأولي في مصر وهو تقسيم بين من يعلمون علم العقيدة ثم الكتاب فلهم الريادة والقيادة والطاعة العمياء، وبين من لا يعلمون من العامة فيمكن التضحية بهم لمصلحة الذين يعلمون، وهذا المبدأ تم ترسيخه والإقرار به في بروتوكولات حكماء صهيون ..الم تعطني الكتاب لأقرأه واعرف منه الأسرار ؟ قال صديقي: بلي. قلت : ففي البروتوكول الخامس عشر ما يثبت هذه العقيدة نصا بقوله:

« ما كان أبعد نظر حكمائنا القدماء حينما اخبرونا انه للوصول إلى غاية عظيمة حقاً يجب الا نتوقف لحظة أمام الوسائل. وأن لا نعتد بعدد الضحايا الذين تجب التضحية بهم للوصول إلى هذه الغاية.. اننا لم نعتد قط بالضحايا من ذرية أولئك البهائم من الأمميين (غير اليهود)، ومع أننا ضحينا كثيراً من شعبنا ذاته ـ فقد بوأناه الآن مقاماً في العالم ما كان ليحلم بالوصول إليه من قبل. إن ضحايانا ـ وهم قليل نسبياً ـ قد صانوا شعبنا من الدمار. كل إنسان لا بد أن ينتهي حتماً بالموت»

وأخيرًا سيد الأدلة، الآية السادسة والثمانون في سورة البقرة حيث يقول المولي عز وجل:

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَـٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾ ثُمَّ أَنتُمْ هَـٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَـٰرِهِمْ تَظَـٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَـٰرَىٰ تُفَـٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَـٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٨٦﴾﴾ .

الا تكفي كل هذه الادلة؟ قال صديقي: تكفي بالطبع احسنت، اكمل تحليلك لشخصية فرعون

قلت: قلنا أن صفوة بني إسرائيل ومعهم هامان سيطروا تماما علي فرعون دون أن يشعر فاسترخي لهذا الوضع واطلق يدهم في امور البلاد فميزوا آل فرعون والجنود علي سائر الشعب فبدأ التذمر وتكاسل عقله عن العمل فلو كان عقله يعمل لأدرك عند سماعه حديث النبوءة وبشارة الميلاد أن هذا النبي لو ولد في تلك الايام لإحتاج اربعين سنة علي الأقل لكي يُنَبَّأ وسيكون هو قد هلك بالتأكيد وليتحمل من سيأتي بعده مسئولية الدفاع عن عرشه وبالتالي لم يكن بحاجة لهذه المذابح المروعة ثم يضطر بعد سنوات قليلة للإستماع لنفس الطغمة فيقرر سنة ذبح وعام عفو ولو كان قوي الإيمان والتوحيد لعلم كما علمت زوجته شديدة الايمان أن امر الله نافذ وان الله لا يُهلِك حاكم او امة إلا بكفرها وسوء عملها.. كان عليه اذن أن يعدل في حكمه ويحسن العمل ليأمن أن يكون الهلاك قدره خاصة وان العدل كان كامن بداخله بدليل انه اعلن انه لن يأخذ احد بالشبهة حين ابلغوه أن بني إسرائيل قتلوا مصرياً وطالبوه بالقصاص فطلب القاتل والدليل

« فأُتِيَ فرعونُ، فقِيل لهُ: أنِ بني إسرائيل قتلوا رجلًا من آلِ فرعونَ فخُذْ لنا بحَقِّنا ولا تُرَخِّصْ لهم. فقال: أبغوني قاتِلَهُ، ومن يشهدُ عليهِ، فإنَّ الملكَ وإن كان صَفْوُهُ مع قومِه لا يستقيمُ لهُ أن يُقِيدَ بغيرِ بينةٍ ولا ثَبْتٍ، فاطلبوا لي عِلْمَ ذلكَ آخُذُ لكم بحقكم.» (١)

هذا تصرف حاكم عادل متعقل لا يقبل الظلم، ولكن ضعف شخصيته وتأثير شياطين الإنس والجن جعلا شخصيته مهزوزة والشخصية المهزوزة تخفي عيبها في جنون العظمة والنرجسية ولذلك لم يتردد كثيرا في قبول فكرة التأليه دفاعا عن نفسه وعرشه في مواجهة هذا النبي المنتظر ثم صَدَّق هذه الكذبة وصار يتصرف علي انه إله بالفعل كما سنرى في مواجهته للأخوين، كما سنلمس ايضا في قرارة نفسه الشك في هذه الألوهية ولكنه العناد والصلف ورفقاء السوء.

(١)الراوي : عبدالله بن عباس المحدث : البوصيري المصدر : إتحاف الخيرة المهرة الصفحة أو الرقم: ٢٣٤/٦ خلاصة حكم المحدث : إسناده صحيح.

عاد الأخوان إلى بيتهما يستريحان ولحق بهما رجل من قومهما يخبرهما أن كبير الحكماء ينتظرهما ليلا في منزله لأمر هام فترددا قليلا ثم قررا الإستجابة وجلسا يتشاوران هل يخبران القوم بما عادا من اجله ومطلبهما من الفرعون؟ واستقر رأيهما علي أن يخبرانهم بالأمر لكي يتهيأوا لماهم مقبلون عليه ويسعداهم بهذا الخبر.. إن كانوا سيسعدون، فرصد ردود افعالهم كان من اهداف كشف المهمة لهم خاصة وان احوالهم كما رصدها هارون عليه السلام قبل فراره لم تكن مطمئنة من حيث قبولهم لإلوهية فرعون واقتناعهم بها. وعندما جن الليل توجها لبيت كبير الحكماء وكان في ارزل العمر ووجدا عنده جمع كبير من بني إسرائيل كان من بينهم جاسوس السامري ولكن السامري نفسه لم يكن بينهم ، كان يراقب عن بعد ويزداد هلعا واستفزازا مما يراه من إستمرار مرافقة جبريل عليه السلام لهما لأنه عليه السلام سمع الله وبصره الذي وعد به الرسولين بقوله:

﴿ قَالَ لَا تَخَافَآۖ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ ﴾ [(١)] وقد يتساءل القارئ من اين اتي لي اليقين أن هذا السامري يري جبريل عليه السلام؟

الإجابة أن رده علي نبي الله موسى عليه السلام حين سأله عن العجل الذهبي تؤكد انه يري جبريل عليه السلام وانه اخذ قبضة من اثره بعثت الحياة في العجل الذهبي كما سنري في الرواية القادمة إن شاء الله.

﴿ قَالَ فَمَا خَطۡبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرۡتُ بِمَا لَمۡ يَبۡصُرُواْ بِهِۦ فَقَبَضۡتُ قَبۡضَةً مِّنۡ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذۡتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتۡ لِي نَفۡسِي ﴿٩٦﴾ ﴾ [(٢)].

---

(١)طه.
(٢)طه.

ونعود للقاء الرسولين مع كبير الحكماء وجمع بني إسرائيل، حيث اخبر موسى عليه السلام قومه بايجاز عن المهمة التي كلفه الله بها هو وهارون عليه السلام مع الفرعون وبشرهم بقرب زوال الغمة والتخلص من السخرة والعبودية للفرعون والخروج من مصر لأن الله عز وجل يريد لهم الخلاص والنجاة من جبروت فرعون، ثم تذكرا أمر أختهما وسألا عنها وحزنا حين عرفا انها ماتت منذ عامين في قصر الفرعون ودفنت بجانب أمهما وأبيهما .

أصاب الوجوم الحاضرين مما قاله لهما موسى عليه السلام وأخيه، باستثناء كبير الحكماء الذي بدت عليه السعادة والتفاؤل والراحة الشديدة واكد أن وعد الله سينفذ بخروجهم من مصر كما نفذ ببعث النبي.

وتساءلوا فيما بينهم، لقد بعث الله النبي المنتظر وسيخرج بنا من مصر فكيف سيكون هلاك الفرعون ؟ واجاب كبير الحكماء: لن يقبل فرعون بخروج بني اسرائيل من مصر علي يد موسى وهارون وبذلك ستكون هناك مواجهة كبيرة ستنتهي بهلاك الفرعون ولكن كيف ؟ هذا مالم يستطع تحديده كبير الحكماء والذي لفظ انفاسه الأخيرة مستبشرا، مطمئنة نفسه.. فبعد أن اطمأنت رجعت إلى ربها راضية مرضية .واهتز الجمع لهذا الحدث ولكن ردود الأفعال تجاه ما ذكره موسى وهارون عليهما السلام ووعدهما لبني إسرائيل قد تباين بشدة، فالتلاميذ القليلون لكبير الحكماء قرروا أن يحملوا الراية ويواصلوا مسيرته الإيمانية ويدعموا الرسولين في مهمتهما الإلهية والتي تمثل الأمل والجائزة لبني إسرائيل علي صبرهم علي سخرة واستعباد الفرعون لهم ولكن هل كل بنو إسرائيل كان متبرما ورافضا لإستعباد صفوتهم والفرعون لهم؟

ما ظهر بعد ذلك انه كان هناك رد فعل آخر من غالبية بني إسرائيل ولكنه كان رد فعل صامت وخفي غير معلن، فهذه الغالبية قد استمرأت العبودية للفرعون.. الإله البشر المجسد القادر، واقتنعوا برأي السامري أن الإله المجسد المرئي او المحسوس والذي يمكن التواصل معه مباشرة أفضل من الإله غير المرئي او المحسوس والذي لا توجد هناك وسيلة مباشرة للتواصل معه ولا توجد امكانية لمعرفة ما يرضيه وما لا يرضيه.

ويجب أن نتذكر هنا أن عبادة الله في ذلك الوقت علي الأرض كانت عبادة مطلقة بلا تشريعات سواء بالنسبة لبني إسرائيل او لشعب مصر وهما قطبا التوحيد بالله علي الأرض في ذلك الوقت، لأن شعوب العراق والشام كانت وثنية.. كما سنري بعد خروج بني إسرائيل من مصر. كما أن عمرو بن لُحَيي كان قد نشر عبادة الأصنام التي اتي بها من الشام إلى الجزيرة العربية بين ذرية اسماعيل عليه السلام كما ذكرنا من قبل.. لم يكن هناك موحدون الا بني إسرائيل وشعب مصر. وكون العبادة كانت مطلقة بلا تشريعات ليس عذرا لبني إسرائيل لكي يركنوا ويرحبوا بتأليه الفرعون لأن شعب مصر في المقابل رفض هذا التأليه وتمسك بإيمانه في الخفاء كما سنري عند مواجهة الرسولين مع فرعون وملأه، وربما كان البعض لا يزال يذكر نبوءة النبي الذي سيهدم عرش فرعون وكان يحلم بهذا اليوم الذي يتخلصون فيه من الفرعون الطاغية رغم انهم يعلمون انه سيكون من بني إسرائيل ورغم أن شعب مصر كان من المفترض أن يرحب بتأليه حاكمهم لأنه بصورة ما لصالحهم ولكن ايمانهم كان اقوى فرفضوا التسليم بتأليه الفرعون . ولكن قلة من بني إسرائيل رفضت اتخاذ موقف مؤيد او معارض لموسي وهارون عليهما السلام وترقبت ما سيحدث، فهم علي عبادتهم لفرعون ليأمنوا شره حتي اذا ظهر الرسولان علي الفرعون واستطاعوا الخروج بهم، سارعوا بالخروج ..واستطاعت هذه القلة اقناع الغالبية بهذه السياسة فباتوا يترقبون نتيجة الصراع بين الرسولين والفرعون وملأه وكيف سيدعمهما الله. وعندما عاد موسي وهارون عليهما السلام إلى بيتهما بعد دفن كبير الحكماء واعلان تلامذته دعمهم للرسولين، وجدا احد جنود فرعون يخبرهما أن موعدهما مع الفرعون ظهر اليوم التالي، وكانت سرعة الإستجابة للطلب وتحديد موعداً فورياً مفاجأة كبيرة للرسولين، ولكنهم لم يعرفوا من الذي كان وراء ذلك، فقد اسرع السامري بما عرفه من جاسوسة عن مهمة الأخوين إلى الصفوة وهامان ليبلغا الفرعون بالأمر لكي لا يفاجأ وربما يرتبك ويكون مستعداً للرد عليهما، وبات الرسولان وهما يفكران ويتدارسان ما يمكن أن يحدث في الغد.

واستوقفني صديقي قائلاً : قبل أن نصل إلى ما حدث في المواجهة كيف توصلت إلي أن عبادة الله كانت مطلقة حتي هذا الوقت؟ قلت: لأن بداية التشريع كان مع نزول التوراة اول كتاب سماوي قال: وماذا عما نزل من قبل علي ادريس وابراهيم عليهما السلام، بل وعلي موسى عليه السلام نفسه:

﴿ إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ ﴾[1].

قلت: الآيات السابقة للآيتين اللتين ذكرتهما من السورة توضح موضوع هذه الصحف اقرأ معي: ﴿ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٨﴾ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٩﴾ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴿١٠﴾ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ﴿١١﴾ ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿١٣﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾ ﴾[2]، كما أن حديث رسول الله ﷺ يزيدنا كعادته ايضاحا :

« فيروي الصحابي الجليل ابو ذر الغفاري فيقول قلتُ : يا رسولَ اللهِ ! كَم كتابٌ أنزلَهُ اللَّهُ تعالى ؟ قال : مائةُ صحيفة وأربعةُ كتُبٍ، أنزلَ على شيثَ(٣) خمسونَ صحيفَةً، وأنزلَ على خَنوخَ (إدريس) ثلاثونَ صحيفةً، وأنزلَ على إبراهيمَ عشرَ صحائفَ، وأنزلَ على موسى عليه السلام قبلَ التَّوراةِ عَشرَ صحائفَ، وأنزلَ التَّوراةَ والإنجيلَ والزَّبورَ والفُرقانَ . قال : قلتُ : يا رسولَ اللهِ ! فما كانَت صُحفُ إبراهيمَ ؟ قالَ : كانت أمثالًا كلّها » هذه الأمثال كانت مادة الصحف الإلهية، لم يكن بها تشريعات بل توجيهات سلوكية الهية مثل ماجاء في نفس الحديث الشريف عن نماذج الأمثال التي وردت في صحف ابراهيم عليه السلام : أيُّها الملكُ المسلَّطُ المبتلى المغرورُ، فإنِّي لم أبعثْكَ لتجمعَ الدُّنيا بعضَها إلى بعضٍ، ولكن بعثتُكَ لتردَّ عنِّي دعوةَ المظلومِ، فإنِّي لا أردُّها ولو كانَت مِن كافرٍ..

---

(١)الأعلى.
(٢)الأعلى.
(٣)ابن سيدنا آدم ولكنه لم يذكر في القرآن ويعتقد انه من الرسل الذين لم يذكروا في القرآن.

علَى العاقِلِ ما لَم يكُن مغلوبًا علَى عقلِه أن تكونَ لـه ساعاتٌ ساعَةٌ يُناجِي فيها ربَّهُ عزَّ وجلَّ، وساعَةٌ يحاسِبُ فيها نفسَهُ، وساعَةٌ يفكِّرُ فيها في صُنعِ اللهِ عزَّ وجلَّ، وساعةٌ يخلو فيها بحاجتِه من المطعَمِ والمشرَبِ، وعلَى العاقلِ أن لا يكون ظاعِنًا إلَّا لثَلاثٍ ؛ تزوُّدٍ لمعادٍ، أو مرمَّةٍ لمعاشٍ، أو لذَّةٍ في غيرِ محرَّمٍ، وعلَى العاقلِ أن يكونَ بصيرًا بزمانِه، مقبلًا علَى شأنِه، حافظًا للسانِهِ، ومن حسَبَ كلامَهُ من عمَلِهِ قلَّ كلامُهُ إلَّا فيما يعنيهِ(١)

قال صديقي: الم يورد الحديث الشريف شيئاً عما جاء في صحف موسى عليه السلام ؟ قلت باسماً : اورد بالفعل لكنني اجلت الحديث عما نزل على موسى عليه السلام من صحف وكتاب هو الأول الى مابعد المواجهة . اقتنع صديقي وقال : عظيم بداية التشريع اذن مع نزول التوراة فماذا تصورت عن المواجهة؟

قلت: ذهب الرسولان لقصر الفرعون في الموعد المحدد ولاحظا إتخاذ إجراءات امنية غير معتادة فلم يكن الأمر- من وجهة نظرهما – يستدعي كل هذا، فهما فردان غير مسلحان فماذا يُخشى منهما ولكن الحقيقة أن كل هذه الإجراءات الأمنية كانت تعكس هلع فرعون وملأه مما عرفاه من السامري عن مكانة وقدرات هذين الأخوين، لذلك لاحظا ايضاً نظرات ساخطة عدائية من الجند. ودخلا حتي وجدا الفرعون يجلس في شموخ وحوله صفوة بني إسرائيل وهامان وقائد الجند وعدد غير قليل من آل فرعون وملأه، هذا ما شاهده الرسولان ولكنهما لم يشاهدا زوجة الفرعون الأولي ام موسى عليه السلام الروحانية وهي تراقب ما يحدث من خلف ستار، فقد عرفت بأمر عودة موسى عليه السلام بعد أن فقدت الأمل في ذلك وكذلك دفعها الترقب بل والخوف علي موسى عليه السلام من هذه المواجهة، فقد كانت رافضة تماما لتأليه الفرعون لنفسه وظلت علي ايمانها الخفي في انتظار زوال الغمة .

(١)الراوي : أبو ذر المحدث : ابن حبان المصدر : صحيح ابن حبان الصفحة أو الرقم: ٣٦١ خلاصة حكم المحدث : أخرجه في صحيحه.

وفي لحظات، تأمل موسي عليه السلام سريعاً هذه القاعة التي كان يرتادها لثلاثين سنة من عمره بحرية تامة وكان له وضعه فيها عند الفرعون وزوجته الكريمة، وكم استغل هذه المكانة لإنقاذ بني إسرائيل من محاولات تسخيرهم وافسد اعمال صفوة بني إسرائيل القائمة علي استغلال العامة منهم وهاهو يعود بعد عشر سنوات في مهمة لإنقاذ نهائي لبني إسرائيل ليس من السخرة فقط ولكن من الشرك بالله بعبادة الفرعون المتأله ..ثم انتبه سريعا بوخزة خفيفة من هارون عليه السلام الذي لاحظ مابه. وبدأت المواجهة.

نظر فرعون بعظمة وثقة واستهانة بمن أمامه ثم قال : من انتما ؟ قلتما أنكما رسل، رسل من وما الرسالة التي معكما ؟

فقال موسى عليه السلام : ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرۡعَوۡنُ إِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٠٤﴾ (١).

قال فرعون ساخراً : من رب العالمين ؟! أتراني أصدقك ؟

قال موسى عليه السلام : حَقِيقٌ عَلَىٰ أن لَّا أَقُولَ عَلَى اللَّـهِ إِلَّا الْحَقَّ (٢).

قال فرعون : وماذا يريد ربكما هذا ؟

قال موسى عليه السلام : ﴿قَدۡ جِئۡتُكُم بِبَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ فَأَرۡسِلۡ مَعِيَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ١٠٥﴾ (٣).

عند هذه العبارة انتفض فرعون منفعلاً وحدثت همهمة بين الحضور وخشي هارون عليه السلام من عنف موسى عليه السلام في الحوار فتدخل قائلاً : ﴿إِنَّا قَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡنَآ أَنَّ ٱلۡعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ٤٨﴾ (٤).

فالتفت فرعون لموسى عليه السلام وقال: « فَمَن رَّبُّكُمَا يَا موسى

(١)الأعراف.
(٢)الأعراف– نفس الآية السابقة (١٠٤).
(٣)الأعراف.
(٤)طه.

قَالَ موسى عليه السلام : ﴿ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ ﴾[1].

قَالَ فرعون : ﴿ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٥١﴾ ﴾[2].

قَالَ موسى عليه السلام وهو يوجه حديثه للجمع خاصة صفوة بني إسرائيل الذين استغرب وجودهم في هذا الموقف :

﴿ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَـٰبٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَـٰمَكُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴿٥٤﴾ ۞ مِنْهَا خَلَقْنَـٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾ ﴾[3] ...ذكرت العبارة الأخيرة فرعون بعقيدة البعث الثابتة في العقيدة المصرية منذ الأزل والتي تحداها فرعون بإدعاء الإلوهية، اهتز فرعون قليلاً وظهر عليه ذلك وانتهز موسى عليه السلام الفرصة فقال هل عرفت مَن ربنا وربكم يافرعون ؟ ثم تذكر ما أمره الله به في هذا الموقف من القول اللين فقال :

﴿ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾ ﴾[4].

هنا استعاد فرعون رباطة جأشه بتشجيع نظرات اعوانه له وعلي رأسهم صفوة بني إسرائيل الذين يطلب موسى عليه السلام أن يرسلهم معه لخارج مصر، فالتفت لموسى عليه السلام تحديداً وقال :

﴿ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِى فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ ﴾[5].

---

(١)طه.
(٢)طه.
(٣)طه.
(٤)النازعات.
(٥)الشعراء.

قَالَ موسى عليه السلام بثقة :

﴿ قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِى رَبِّى حُكْمًا وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَىَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٢﴾ ﴾[1].

قَالَ فِرْعَوْنُ : قلتما انكما رسولا رب العالمين

قال هارون عليه السلام :نعم

قال فرعون : ﴿ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾[2].

قَالَ هارون عليه السلام : ﴿ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾[3].

التفت فرعون لصفوة بني إسرائيل موجهاً حديثه : ﴿ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾[4].

قَالَ هارون عليه السلام مؤكداً : ﴿ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾[5].

قَالَ فرعون لبني إسرائيل : ﴿ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ ﴾[6].

قَالَ هارون عليه السلام بإصرار : ﴿ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾[7].

قَالَ فرعون لموسى عليه السلام : ﴿ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾

---

(١)الشعراء.
(٢)الشعراء.
(٣)الشعراء.
(٤)الشعراء.
(٥)الشعراء.
(٦)الشعراء.
(٧)الشعراء.

قال موسى عليه السلام بصوته الجهوري لفرعون وملأه من المصريين : ﴿ أَنْ أَدُّوٓاْ إِلَيَّ عِبَادَ ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٞ ﴿١٨﴾ وَأَن لَّا تَعۡلُواْ عَلَى ٱللَّهِۖ إِنِّيٓ ءَاتِيكُم بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ ﴿١٩﴾ وَإِنِّي عُذۡتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمۡ أَن تَرۡجُمُونِ ﴿٢٠﴾ وَإِن لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ لِي فَٱعۡتَزِلُونِ ﴿٢١﴾ ﴾ (١).

فسكت فرعون وهامان في حيرة من هذا المطلب ثم تحدث فرعون فقال :

ومايدريني حقاً انك رسول ربك لأرسل معك بني إسرائيل ؟

قَالَ موسى عليه السلام : ﴿ قَالَ أَوَلَوۡ جِئۡتُكَ بِشَيۡءٖ مُّبِينٖ ﴿٣٠﴾ ﴾ (٢).

قَـالَ فرعـون : ﴿ فَأۡتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلۡقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعۡبَانٞ مُّبِينٞ ﴿٣٢﴾ ﴾

ويزيدنا الحديث الشريف وصفاً لما حدث فيقول عما صارت اليه العصا :

حيَّةٌ تسعى عظيمةٌ فاغِرَةٌ فاها مسرعةٌ إلى فرعونَ، فلمَّا رآها قاصدةً إليه خافها فاقتحمَ عن سريره واستغاث بموسى أن يَكُفَّهَا عنهُ ففعلَ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ من غير سوء، يعني من غير برص، فردها فعادت إلى لونها الأول، فاستشار فرعون الملأ حوله فيما رأى.

ران الصمت على المكان وتوجهت الأنظار الى صفوة بني إسرائيل بإعتبار انهم المسئولون عن قومهم بل انهم هم ايضاً المطلوب خروجهم مع موسى عليه السلام وعليهم أن يحددوا موقفهم وإلا سيتحملوا المسئولية وربما لم يكن لدى الملأ بل وفرعون نفسه مانعاً في خروجهم من مصر تفادياً للمشاكل مع هذا الرسول، فالنبوءة لم تزل تخايلهم وترعبهم، فإن اراد الصفوة البقاء في مصر فعليهم التصرف مع رسولهم هذا والا خرجوا معه، مع ما في ذلك من خسارة جسيمة للصفوة، فبعد الحياة الرغدة المنعمة المربحة سيخرجون معه الى مصير مجهول

(١)الدخان.
(٢)الشعراء.

لذلك استطلعوا رأي زعماء بني إسرائيل والقوا الكرة في ملعبهم :

﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾(١).

وكان الرد حاضراً عندهم بقيادة قارون :

﴿ قَالُوٓاْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٣٦﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾ ﴾(٢).

قَالَ موسى عليه السلامُ :

﴿أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْ أَسِحْرٌ هَٰذَا وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾(٣).

ثم توجه قارون الى موسى وهارون عليهما السلام، ولكنه وجه الحديث لموسى عليه السلام قَالَ

﴿أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ ﴾(٤).

ثم شارك باقي الصفوة قارون في حديثه للرسولين :

﴿ قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ ﴿٧٨﴾ ﴾(٥).

﴿ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾ ﴾

(١)الأعراف.
(٢)الشعراء.
(٣)يونس.
(٤)طه.
(٥)يونس.

فصمت موسى عليه السلام للحظات كان يستمع فيها لصوت جبريل بصورة أفزعت الحضور ثم تكلم:

﴿ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ﴿٥٩﴾ ﴾[1].

فصرخ فرعون : ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ٱئْتُونِى بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾ ﴾[2].

فخرج موسى وهارون عليهما السلام من القصر تشيعهما نظرات الحقد والعداء من صفوة بني إسرائيل اكثر منها من فرعون وملأه من المصريين، في انتظار يوم التحدي مع سحرة فرعون.

خرج الرسولان من قصر الفرعون وهما لا يصدقان انهما خرجا بسلام، وبناء علي طلب موسى عليه السلام ذهبا إلى ضفاف النيل ذاك النهر الحبيب والذي انقذ موسى عليه السلام رضيعا من الذبح والذي كان آنذاك في موسم الفيضان، ووقف موسى عليه السلام يُسَبِّح الله ويدعوه لكي ينصره وكأنه يستعيد نفس موقف نبي الله ادريس او اخنوخ منذ آلاف السنين حين خرج بمن آمن معه من ارض بابل فيما بين نهري الفرات ودجلة وهاجر حتي حط رحاله علي ضفاف النيل ووقف يسبح الله كما يفعل موسى عليه السلام الآن ثم وضع أساس الحياة علي ضفاف النيل في البلد التي سميت بعد ذلك «مصر».

طال وقوف موسى عليه السلام علي شاطئ النيل وخاف هارون عليه السلام من غدر فرعون او هامان او جنودهما فنبه موسى عليه السلام لضرورة العودة إلى مدينتهم وبيتهم فقد اقترب الظلام فاستجاب موسى عليه السلام وتحركا وما أن انتشر خبر عودتهما في المدينة حتي سارع لهما لفيف من الأطياف المختلفة من بني إسرائيل لإستطلاع الخبر وقبل أن يرتاحا او يتناولا الطعام اخبرهم موسى عليه السلام بتفصيل ماحدث مع فرعون والذي انتهي بتحديد موعدا للمواجهة بين السحرة وبين موسى عليه السلام هو يوم الزينة، وفورا اعلن احدهم أن يوم الزينة موعده بعد اربعة اشهر من الآن وعلي موسى عليه السلام أن يستعد جيدا

(١)طه.
(٢)يونس.

وقال آخر: يا موسى انت لا تعرف قدرات هؤلاء السحرة ولن تستطيع مواجهتهم لقد رأيناهم في مواقف عديدة، انت نفسك حضرت موقفا منهم قبل هروبك، قال موسي: ورفضت الإيمان بما اتوه من خداع للأبصار في وقتها، فرد ثالث: قدراتهم تطورت جدا من ذلك الوقت لقد اكتشفوا أن فرعون هو الإله الواحد لا إله الا هو.

نظر موسى عليه السلام منفعلا للرجل وقال: هذا ما خدعوكم به ونسيتم عهد أجدادكم لجدكم الاكبر يعقوب أن يعبدوا إلهه وإله اباءه الها واحدا هو الله رب العالمين، انتم احفاد انبياء فكيف تعبدون غير الله؟ فرد رابع: الله؟ اين هو الله؟ وكيف يرضي لنا بهذه المهانة والإذلال ونحن أحفاد انبياء كما تقول؟ اين هو لنطلب منه فيجيب او يأبى؟ إن اله نراه ويرانا ونطلب منه مباشرة فيجيب او يأبي افضل من إله لا نعرف له طريقا ولا سبيلا ولا نعرف موقفه مما نطلب منه.

استشاط موسى عليه السلام غضباً وتلجلج لسانه في الرد فتولي هارون عليه السلام الرد عنه: تطلبون من الله وتريدون أن يستجيب لكم فهل تؤدون لله حقه؟ هل تعبدونه حق عبادته لكي يرحمكم مما انتم فيه؟ انتم تؤدون ما عليكم تجاه فرعون بمنتهي الأمانة والإخلاص فلا يجازيكم الا أقل القليل فترضون، فهل تفعلون ذلك مع الله لينقذكم؟ وهل الفرعون نفسه يستعصي علي الله إن اراد إهلاكه؟ لو رأيتموه اليوم ورأيتم فزعه واستنجاده بموسى حين اظهر موسى معجزاته التي اخبرناكم عنها واتهموه بالسحر، لأدركتم انه لايمكن أن يكون الهاً بهذا الخوف والعجز، ايستنجد الإله بعبد من عباده لينقذه من اي خطر ؟ ومع ذلك كلفنا الله بمهمة انقاذكم واخراجكم من مصر.

هذا هو الإله القادر حقا الإله الذي يجب أن يعبده الجميع والذي كان فرعون نفسه وملأه يعبدونه قبل أن يخدعوه ويخدع نفسه بأنه الإله.. حتي المصريون لا يعترفون به ويكتمون ايمانهم بالله الواحد وينتظرون الخلاص من الله، انسيتم قصة الماشطة المصرية؟

ران الصمت علي المكان بتذمر ممن يصرون علي موقفهم ويعجزون عن الجدال امام منطق هارون عليه السلام، وبوجوم ممن صدمهم هارون عليه السلام بالحقيقة وذكرهم بما نسيوه او تناسوه، وبرضا من القلة من العلماء تلاميذ كبير الحكماء .

سكت هارون عليه السلام قليلا هدأ خلالها موسى عليه السلام فواصل الكلام : تتكلمون عن السخرة الم اعفيكم منها حين كانت لي كلمتي عند فرعون؟ الم اقتل بسبب هذه الحماية من السخرة من آل فرعون ومن صفوتكم؟ ومع ذلك ألم يكن بعضكم يسعي سرا لهذه السخرة طمعا في المال الزهيد؟ يبدوا أن السخرة وحب المال يجري في عروقكم كما يجري في عروق صفوتكم فباعوا انفسهم ودينهم لفرعون وألّهوه ليربحوا ثمنا قليلا. همهم البعض تذمرا من كلمة قليل هذه فواصل هارون لأن موسى عليه السلام كان قد عاد لإنفعاله: قليل مقارنة بما عند الله من خير كثير لا يزيد عليه خير، تأملوا احوالكم جيداً وعودوا الى الله وسنخرجكم بإذن الله من مصر علي خير.

وسأل احدهم متشككا: هل انت واثق يا موسى من قدرتك علي مواجهة هؤلاء السحرة العالمين؟ فرد موسى عليه السلام نعم بعون الله فلا يفلح كيد الساحر امام قدرة الله، فقال الرجل: سننتظر اذن ونري ولكننا سنداوم علي حالنا مع الفرعون لنأمن شره حتي يظهرك إلهك علي الفرعون وتخرجنا من هنا إلى مصير مجهول، لم تخبرنا ياموسى الى اين سنذهب حين نخرج من مصر ؟ قال موسى عليه السلام : لم يخبرني الله بعد . قال الرجل في لهجة اشبه بالساخرة : امرك فقط بأن تخرجنا من مصر ولم يخبرك الى اين ؟ صمت موسى عليه السلام، ولكن هارون عليه السلام اجاب : عندما امر الله نبيه ابراهيم أن يخرج بقومه من ارض بابل، هل اخبره الى اين سيذهب او سأله جدنا ابراهيم اين سيذهب ؟ وعندما امره الله أن يترك زوجته هاجر وابنه الرضيع في الصحراء، هل سأله ابراهيم وماذا سيحدث لهما ؟ لقد نفذ جدنا امر الله ثم عرف الحكمة وباقي التفاصيل ولكن نفذ اولاً . لن يتركنا الله، لاشك انه سيخبرنا ونحن خارجون بوجهتنا ومصيرنا. بعد هذه العبارة ران الصمت على المكان ثم انصرف القوم وتركوا موسى عليه السلام مذهول مما سمع ولم يبق الا بقايا الحكماء الذين طمأنوا موسى عليه السلام إلى نصر الله ودعوه للثبات مؤكدين دعمهم له وانصرفوا وسارع هارون عليه السلام لتهدئة اخيه موضحا انه غير متعجب من حال القوم فقد رأي مقدماته قبل أن يفر من مصر وذكره بما رواه له من موقف قومهما من ادعاء فرعون الإلوهية فقال موسي: لم اصدق ما قالوه عن الله ألى هذا الحد وصل ضلالهم؟

قال هارون عليه السلام: نعم ولكن لا عليك امامنا فترة مناسبة لتعديل مسارهم وتهيأتهم لما سيحدث يوم الزينة، علينا أن نتواجد بينهم دائما ونواصل الحديث معهم وتذكيرهم بأيام الله كما امرنا الله هل نسيت مهمتنا مع قومنا ؟

﴿ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥﴾ ﴾[1] قال موسى عليه السلام هادئا: نعم، اضاف هارون عليه السلام: ولا يجب أن ننسي أن هناك شيطان اسمه السامري يعمل في عكس اتجاهنا فعلينا أن نتواجد بينهم دائما ولا نعطيه الفرصة ليبث سمومه بينهم مرة اخرى قال موسي: وكيف سنمنعه ونحميهم منه؟ قال هارون عليه السلام: كما قلت لك بالتواجد بينهم اطول وقت ممكن وبمساعدة بقايا الحكماء، فالسامري لا يستطيع مواجهتك ابدا او مناقشتك مناقشة صريحة وعلنيه فقال موسي: لماذا؟ قال هارون عليه السلام: قبل خروجك من مصر كان هذا السامري يهرب من مواجهتك دائما كنت ألاحظ ذلك ولا افهم السبب فكيف بحاله الآن معك وقد صرت نبيا رسولا تحمل أوامر الله ومكلفا بتنفيذها؟ إن في هذا الرجل طباع الشياطين في الوسوسة الخفية من وراء حجاب او في ظلام الليل ولكنه ابدا لا يواجه الحق لأنه عديم الحجة والمنطق القويم. وبدأ الأخوان الرسولان مهمتهما الشاقة مع بني إسرائيل ذوي القلوب الغلف كما قالوا هم عن أنفسهم واورده القرآن الكريم في سورة البقرة ﴿ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾.

واكدها المولى عز وجل في سورة النساء:

﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ ﴾ .

عاون الأخوين في مهمتهما الشاقة بقايا الحكماء، ولكن في المقابل كانت هناك جهود مستميته من الصفوة بتخطيط من السامري لإستقطاب العامة وصرفهم عن تصديق موسى وهارون عليهما السلام والتشكيك في الرسولين. ولاشك انهم حسَّنوا من معاملتهم واغدقوا عليهم بعض الشئ بالأموال

(١)ابراهيم.

كما اقنعوا فرعون بمزيد من الإغداق المالي على هؤلاء العامة لإستمالتهم واجتذابهم واقناعهم انه الإله الواحد القادر بالفعل وليس بالأماني.. كل ذلك استعدادا لمواجهة النتائج المتوقعة لمواجهة موسى عليه السلام والسحرة والتهوين من انتصار موسى عليه السلام المتوقع والتشكيك فيه من الآن .

ولأنهم عبيد للمال وحده فالإغداق عليهم به سيضمن ولائهم ولو إلى حين افشال مهمة موسى وهارون عليهما السلام فلا يخرجون معهما من مصر..كانت معركة حامية الوطيس دامت اربعة اشهر وظهرت نتائجها يوم الزينة ومابعده ..و جاء يوم الزينة.

هنا استوقفني صديقي : واضح أن هنا نهاية الفصل الثالث . قلت: لا، بقي الحديث عن صحف موسى عليه السلام والكتاب الأول الذي انزل عليه وهو التوراة . فابتسم صديقي وقال : حسناً كنت اظنك نسيت هذا الأمر، هات ماعندك . قلت : التوجيهات السماوية نزلت على صورتين، صورة اولية وهي الصحف والتي اوضح الحديث الشريف على من انزلت وكم عدد مانزل منها على كل مُنَزَّل عليه، يقول الصحابي الجليل ابو ذر الغفاري عن رسول الله ﷺ: قُلْتُ: يا رسولَ اللهِ كم كتابًا أنزَلَه اللهُ ؟ قال: (مئةُ كتابٍ وأربعةُ كُتبٍ أُنزِل على شِيثَ خمسونَ صحيفةً وأُنزِل على أخنوخَ ثلاثونَ صحيفةً وأُنزِل على إبراهيمَ عَشْرُ صحائفَ وأُنزِل على موسى عليه السلام عليه السلامُ قبْلَ التَّوراةِ عَشْرُ صحائفَ وأُنزِل التَّوراةُ والإنجيلُ والزَّبورُ والقرآنُ)(١).

نزل اذن على موسى عليه السلام عشر صحائف قبل التوراة وهو الكتاب الأول، نبي الله موسى عليه السلام اذن هو المرحلة الإنتقالية بين مرحلة الصحف او الصحائف والكتاب او الكتب الأربعة كنص الحديث الشريف،فقد نُزِّلَ عليه كلاهما، واحسب أن هذا كان ضرورياً ،أن يجمع نبي واحد بين الصورتين من التوجيهات السماوية لكي يكون نموذجاً للتطور في صورة التوجيهات ولكي لايكون لأنبياء الكتب فضل على انبياء الصحف .. فها هو نبي قد جمع بين الصورتين .

(١)الراوي : أبو ذر المحدث : ابن حبان المصدر : صحيح ابن حبان الصفحة أو الرقم: ٣٦١ خلاصة حكم المحدث : أخرجه في صحيحه.

اما الحديث عما جاء في صحف موسى عليه السلام قبل التوراة، فقد اوضحه نفس الحديث الذي اورد ماجاء في صحف ابراهيم فقد قال ابو ذر الغفاري : قُلْتُ: يا رسولَ اللهِ فما كانتِ صحفُ موسى عليه السلام ؟ قال: (كانت عِبَرًا كلُّها: عجِبْتُ لِمَن أيقَن بالموتِ ثمَّ هو يفرَحُ وعجِبْتُ لِمَن أيقَن بالنَّارِ ثمَّ هو يضحَكُ وعجِبْتُ لِمَن أيقَن بالقدَرِ ثمَّ هو ينصَبُ عجِبْتُ لِمَن رأى الدُّنيا وتقلُّبَها بأهلِها ثمَّ اطمَأنَّ إليها وعجِبْتُ لِمَن أيقَن بالحسابِ غدًا ثمَّ لا يعمَلُ)..كما يوضحه حديث شريف رواه الصحابي الجليل حبر الأمة عبد الله بن عباس : لمَّا نزلت سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى قالَ هي كُلُّها في صحفِ إبراهيمَ وموسى عليه السلام. دعنا نسترجع ياصديقي سورة الأعلى : اعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم : ﴿ سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى (١) ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ (٢) وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ (٣) وَٱلَّذِىٓ أَخۡرَجَ ٱلۡمَرۡعَىٰ (٤) فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحۡوَىٰ (٥) سَنُقۡرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ (٦) إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلۡجَهۡرَ وَمَا يَخۡفَىٰ (٧) وَنُيَسِّرُكَ لِلۡيُسۡرَىٰ (٨) فَذَكِّرۡ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكۡرَىٰ (٩) سَيَذَّكَّرُ مَن يَخۡشَىٰ (١٠) وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلۡأَشۡقَى (١١) ٱلَّذِى يَصۡلَى ٱلنَّارَ ٱلۡكُبۡرَىٰ (١٢) ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحۡيَىٰ (١٣) قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ (١٤) وَذَكَرَ ٱسۡمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ (١٥) بَلۡ تُؤۡثِرُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا (١٦) وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ (١٧) إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلۡأُولَىٰ (١٨) صُحُفِ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ (١٩) ﴾

صدق الله العظيم ..قال صديقي : صدق الله العظيم هذه كانت اذن صحف موسى عليه السلام، قلت : واحسب أن بعض ما جاء على لسان موسى عليه السلام في حواره مع الفرعون هو ايضاً من صحف موسى عليه السلام، تأمل معي ما جاء في سورة طه : ﴿ إِنَّا قَدۡ أُوحِىَ إِلَيۡنَآ أَنَّ ٱلۡعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ (٤٨) قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ (٤٩) قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَىۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ (٥٠) قَالَ فَمَا بَالُ ٱلۡقُرُونِ ٱلۡأُولَىٰ (٥١) قَالَ عِلۡمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى (٥٢) ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ مَهۡدًا وَسَلَكَ لَكُمۡ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ (٥٣) كُلُواْ وَٱرۡعَوۡاْ أَنۡعَٰمَكُمۡۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ لِّأُوْلِى ٱلنُّهَىٰ (٥٤) ۞ مِنۡهَا خَلَقۡنَٰكُمۡ وَفِيهَا نُعِيدُكُمۡ وَمِنۡهَا نُخۡرِجُكُمۡ تَارَةً أُخۡرَىٰ (٥٥) ﴾

وفي سورة الشعراء : ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ ..قال صديقي : معك حق إن عبارات موسى عليه السلام هذه من نفس صيغة الصحف.قلت : يبقى شئ واحد، نزلت التوراة بعد الخروج من مصر مباشرة فمتى نزلت الصحف العشر ؟ فكر صديقي قليلاً ثم قال : احسبها نزلت في الوادي المقدس طوى.

قلت سعيداً : تتفق معي اذن أن هذا هو الإحتمال الأرجح، قال :بلا شك، والآن هل غداً هو يوم الزينة ؟ فضحكت للإشارة الخفية لإنتهاء جلسة اليوم فقلت : موعدنا غداً إن شاء الله.

الفصل الرابع : موسى والسحر

قبل أن اتوجه للقاء صديقي عنَّ لي أن أشاهد التلفاز قليلا وكانت مصادفة غريبة أن أجد في احدي المحطات الأجنبية عرضا لأحد السحرة فأخذت ارقبه بإهتمام وتركيز محاولا كشف خداعه ولكن دون جدوى، وقفز لعقلي سؤال منطقي : هل هذا السحر له علاقة بما كان يمارسه سحرة فرعون؟ بالطبع لم تكن هناك إجابة ولكنه مجرد ربط للأحداث في ذهني.

ثم انطلقت للقاء صديقي الذي ما أن رآني حتي قال: امران ارَّقاني طوال الليل، فقلت: هات اولهما قال: جزمت في الفصل الثاني أن ماشطة ابنة فرعون كانت مصرية قلت: نعم قال: كيف جزمت بذلك؟ لماذا لم تكن من نساء بني إسرائيل الذين استحياهم فرعون؟ قلت: هناك ادلة استنتاجية ودليل واحد دامع، نبدأ بالأدلة الإستنتاجية.. اولاً وجدنا من تتابع الأفعال وردود فعل المصريين وبني إسرائيل تجاه تأليه الفرعون أن السخط والرفض كان من المصريين وليس من بني إسرائيل كما أن سلوك هذه المرأة المواجه المتمسك بالإيمان سلوك مصري، فلم نر من بني إسرائيل علي مدي تاريخهم هذه المواقف الحاسمة بل هم دائما يؤثرون السلامة، وقد لجأ المصريون بعد شيوع خبر هذه الواقعة إلى اخفاء ايمانهم عن هذا الطاغية فقد قلت في الفصل الثاني ما نصه: (وبعد واقعة الماشطة قرروا كتم ايمانهم الحقيقي والتظاهر بعباده فرعون تحت ضغط جنود فرعون وهامان وعاد بنو إسرائيل للسخرة، وكأن موقف اخفاء الإيمان تحت الضغط غير المحتمل كان مقدمة لموقف عمار بن ياسر بعد قرون:

﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ١٠٦ ﴾ [النحل].

هذه الآية كأنها تتحدث عما حدث ايام فرعون كدليل على ثبات العقيدة وأحكامها) .

وكما سنري في تداعيات مواجهة فرعون والسحرة فقد كان هناك من يخفون ايمانهم حتي من آل فرعون حتي ينقذهم الله وهذا دليل استنتاجي آخر . اما الدليل الدامغ فهو أن هذه القصة لم ترد الا في الحديث الشريف الذي ذكرناه، والرسول عليه الصلاة والسلام كان عادة يحدد جنس الشخصية التي يروي قصتها، ففي حديث المرأة التي سقت الكلب الظامئ قال ﷺ:

(بينما كلبٌ يُطِيفُ برَكيَّة، كاد يقتُلُه العطشُ، إذ رأَتْه بغيٌّ من بغايا بني إسرائيل، فنزَعَت مُوقَها، فسَقَتْه فغُفِر لها به)(١).

كما تري ياصديقي حدد الرسول ﷺ أن البغي كانت من بني إسرائيل رغم أن هذا سلوك لو مارسته امرأة من اي جنس او ديانة لنالت نفس الثواب ومع ذلك يحدد الرسول ﷺ جنسها وليس دينها فلو كانت الماشطة من بني إسرائيل لأعلن الرسول ﷺ ذلك.

ويرتبط بهذا الدليل دليل آخر حاسم فقصة هذه الماشطة لم ترد إلا في هذا الحديث الشريف من النصوص الإسلامية، فلم ترد هذه القصة في التوراة وتحديدا في سِفر الخروج الذي ارخ لوجود بني إسرائيل في مصر وحتي خروجهم من مصر ولو كانت هذه الماشطة من بني إسرائيل لذكروا قصتها واستفاضوا فيها ومجدوها، ولكنها لم ترد.

ارتاح صديقي وقال: هذه حجج اراها منطقية وصحيحة، قلت: والأمر الآخر؟ قال: ما هو يوم الزينة؟ قلت: هذا ما ابدأ به الفصل الرابع بالفعل إن شاء الله، قال: حسنا لنبدأ الفصل الرابع واعتقد أن تفاصيله كافية في القرآن، قلت: بلا شك في الأحداث الرئيسية ولكن تبقي مشكلة ما بين الأحداث المؤكدة، قال صديقي: حسنا لنبدأ ولكن لا يزال هناك امرا يحتاج لتأكيد وارجو أن يتأكد من خلال أحداث هذا الفصل قلت: وما هو؟ قال: يقينك بأن السحرة الذين واجهوا موسي عليه السلام كانوا من بني إسرائيل، فتبسمت وقلت: وهذه ايضا محسومة بأمر الله في هذا الفصل، هل نبدأ؟ قال صديقي باسما: نبدأ بأمر الله قلت:

---

(١)الراوي : أبو هريرة المحدث : البخاري المصدر : صحيح البخاري الصفحة أو الرقم 3467 :خلاصة حكم المحدث] : صحيح.

اقترب يوم الزينة وهو الموعد الذي حدده موسي عليه السلام لمواجهة السحرة ردا علي تحدي صفوة قومه له، فقد سكت آل فرعون وتركوا صفوة بني إسرائيل يواجهون موسي لأن طلبه هو السماح لبني إسرائيل- وهم منهم- بالخروج معه من مصر لذلك القوا الكرة في ملعبهم وقالوا فانظروا ماذا تأمرون فكان الرد عنيفا وحادا من هؤلاء الصفوة تجاه نبيهم وتحدوه بسحرتهم الذين صنعوهم لهذا الموقف منذ سنوات.

ولاشك أن تحديد موسي ليوم الزينة كان بوحي إلهي مباشر ... ويوم الزينة كما ترجح بعض المصادر الاسلامية هو يوم عاشوراء او يوم عيد الربيع اي عيد النيروز عند المصريين القدماء، لكن هذا الحديث الشريف يرجح بل ويجزم بأحد القولين، ففي الحديث الشريف : (قَالَ سعيدُ بنُ جبيرٍ : فحدَّثني ابنُ عباسٍ أنَّ يومَ الزينةَ الذي أظهرَ اللهُ فيهِ موسى على فرعونَ والسحرةَ هو يومُ عاشوراءَ)(١).

وتقرر بعض الوثائق المصرية القديمة أن المصريين القدماء كانوا يعرفون هذا اليوم، ويحتفلون به، وفيه يتذكرون هذا اللقاء الخالد بين آدم وحواء على جبل عرفه، بل وطوفان سيدنا نوح، حتي وجود حبة القمح فى الحلوى التى تقدم حتى الآن فى يوم عاشوراء، تعود الى اول وجبة صنعها سيدنا نوح للمؤمنين بعد انتهاء الطوفان . وفيه أنقذ الله نبيه إبراهيم من النمرود، وفيه رد الله يوسف إلى يعقوب، وهو اليوم الذي أغرق الله فيه فرعون وجنوده ونجى موسى وبني إسرائيل، وفيه غفر الله لنبيه داود، وفيه وهب سليمان ملكه، وفيه أخرج نبي الله يونس من بطن الحوت، وفيه رفع الله عن أيوب البلاء.. اي انه يوم من الأيام التي ينصر الله فيها الحق علي الباطل، وهو ما حدث في يوم الزينة كما سنري .

---

(١)الراوي : عبدالله بن عباس المحدث : البوصيري المصدر : إتحاف الخيرة المهرة الصفحة أو الرقم: ٢٣٤/٦ خلاصة حكم المحدث : إسناده صحيح.

في يوم الزينة هذا يتزيّن الناس ويرتدون أجمل ما لديهم من الملابس ذات الألوان الزاهية، صغاراً كانوا أم كباراً، رجالاً ونساءً، وينثرون على وجوههم وملابسهم مسحوقاً مليئاً بالغبار، وألواناً مختلفة لإشاعة مزيد من البهجة وطقوس المسرّة والإحتفال بهذا اليوم ويقال أن اليوم كان في حينها يوم سبت . واذا كان الحديث الشريف قد اكد أن يوم الزينة كان يوم عاشوراء، فإن التوراة تجاهلت ذكر يوم الزينة، بل أن التوراة في ذات الوقت جزمت بان السحرة كانوا مصريين ، وأري أن ذلك ضمن تحريفهم لأغلب وقائع تاريخهم والذي بلغ مداه بقولهم – كما ذكرت من قبل - أن نبي الله هارون عليه السلام هو الذي صنع العجل الذهبي لهم واخفوا سيرة السامري تماماً الذي اكد القرآن الكريم انه صانع العجل الذهبي.. فقد جاء في التوراة في سفر الخروج فيما بين الإصحاحين ٣٢- ٣٥ :

« عندما صعد موسى إلي جبل سيناء، ليأخذ الشريعة من الله، وأبطأ في النزول، اجتمع الشعب على هارون، وطلبوا منه أن يصنع لهم آلهة تسير أمامهم، لأنهم لا يعلمون ماذا أصاب موسى. ولا يذكر الكتاب أن هارون احتج أو قاوم، بل طلب منهم أن ينزعوا أقراط الذهب التي في آذانهم، و«أخذ الذهب من أيديهم، وصورْ بالأزميل وصنعه عجلًا مسبوكًا. فقالوا: هذه آلهتك يا إسرائيل التي أصعدتك من أرض مصر. فلما رأى هارون ذلك، بنى مذبحًا أمامه. ونادى هارون وقال: غدًا عيد للرب (يهوه) » وسرعان ما انقلب الاحتفال به إلى رقص ولهو وصخب وعربدة . وعندما نزل موسى -ومعه يشوع- من الجبل، ورأى هذا المنظر الفاجر، اشتعل غضبه، وألقى بلوحي الشريعة من يديه وكسرهما. ثم أحرق العجل بالنار وطحنه ناعمًا وذراه على وجه الماء وسقى الشعب. وأمر موسى بني لاوي، فقتلوا زعماء الذين تورطوا في هذا الشر، فوقع من الشعب نحو ثلاثة آلاف رجل، كما ضرب الرب الشعب بوبأ لم يحدد نوعه»

ونعود للاستعداد ليوم الزينة حيث اكثر موسي وهارون عليهما السلام من الصلاة والدعاء لله ومعهما الصالحين والحكماء من بني إسرائيل، وربما كان يشاركهم الدعاء المؤمنون من شعب مصر، اما سائر عامة بني إسرائيل فكان موقفهم موقف المترقب المحايد تماما لكي يركب موجة المنتصر، مع حذر زائد لو انتصر نبيهم علي السحرة اي علي فرعون فلا شك أن فرعون لن يستسلم للهزيمة وسيجن جنونه ولا احد يستطيع توقع مدي ردود افعاله خاصة علي بني إسرائيل، ولكن علي الجانب الآخر لو انتصر موسي فهذا يعني أنه نبي مرسل بالفعل وان ربه سيدعمه لكي يخرجهم من مصر، فمن سيفرض ارادته، فرعون ام رب موسي وهارون ؟

لم يكن امامهم الا الانتظار خاصة مع الضغط الشديد من السامري وصفوة بني إسرائيل علي العامة، فقد قام قارون باغراقهم بالمال كما قلنا لكنه استخدم هذه المرة امواله الخاصة :

﴿ ۞ إِنَّ قَـٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ [١] ... وقد اقلقه تصدي الحكماء له مما زاده عناد.

قبل حلول يوم الزينة كانت هناك اجراءات تحضيرية لما سيحدث فيه من قِبَل فرعون وملأه، فقد اكتمل تجمع السحرة الذين تم حشرهم من مختلف ارجاء مصر في احد القصور التابعة للفرعون والتقى بهم السامري وقارون وهامان وقائد الجند وقصوا عليهم ما حدث والمهمة التي تم استدعائهم لها، ويوضح الحديث الشريف تفاصيل ما حدث بين السحرة وبين فرعون قبيل يوم الزينة

(١) القصص.

فقال :فلما أتوا على فرعون، قالوا : ما يعمل هذا الساحر ؟ قالوا : يعمل الحيات، قالوا : فلا والله ما أحد في الأرض يعمل السحر والحيات والحبال والعصي الذي نعمل فما أجرنا إن نحن غلبنا قال لهم : أنتم أقاربي وخاصتي، وأنا صانع إليكم كل شيء أحببته. فتواعدوا يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحى(١).

ويؤكد القرآن الكريم ما حدث بين السحرة وفرعون قبل يوم الزينة بقوله :

﴿ وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓاْ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾[٢].

وجاء في الحديث الشريف عما حدث يوم الزينة مانصه :

وفي يوم الزينة تم حشد الناس بمختلف ميولهم وأصنافهم ما بين عامة بني إسرائيل وآل فرعون وشعب مصر بل والأغراب الذين يعيشون في مصر. فلما اجتمعوا في صعيد، قال عامة بني إسرائيل بعضهم لبعض : انطلقوا فنتخبر هذا الأمر لعلنا نتبع السحرة أن كانوا هم الغالبين .. يعنون موسى وهارون عليهما السلام استهزاء بهما (٣).

حضر موسي وهارون عليهما السلام وكان موسي عليه السلام يحمل عصاته الشهيرة وسلاحه الفعال ثم ظهر السحرة مجتمعون واخذ السامري يلفت نظرهم الى العصا التي يحملها موسى عليه السلام والتي تحولت الى حية ضخمة افزعت الفرعون في اللقاء السابق، فتأملوها عن بعد وابدوا استهانة بها، وبدت عليهم الثقة الزائدة، ثقة اثارت شئ من الإهتزاز في نفس موسي عليه السلام ﴿ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ ﴿٦٠﴾ ﴾[٤].

---

(١)الراوي : عبدالله بن عباس المحدث : البوصيري المصدر : إتحاف الخيرة المهرة الصفحة أو الرقم 6/234:خلاصة حكم المحدث : إسناده صحيح.
(٢)الأعراف.
(٣)الراوي : عبدالله بن عباس المحدث : البوصيري المصدر : إتحاف الخيرة المهرة الصفحة أو الرقم 6/234:خلاصة حكم المحدث : إسناده صحيح.
(٤)طه.

ظهر فرعون وحوله رجاله هامان وقارون وقائد الجند وعن بُعد كانت زوجتا الفرعون تراقبان ما يحدث الأولى تدعو لموسي عليه السلام بالنصر والثانية تنتظر انتصار السحرة والذي يعني انتصار فرعون وبدأت المواجهة.

ويروي الحديث الشريف فيقول عن زوجة فرعون الأولى :

وكانت امرأة فرعون بارزة متبذلة تدعو بالنصر لموسى عليه السلام على فرعون، فمن رآها من آل فرعون ظن أنها إنما تبذلت لشفقة على فرعون وأشياعه وإنما كان حزنها وهمها لموسى عليه السلام (١).

وتبذلت اي تركت التَّزَيُّنَ والتجَمُّلَ ولَبِسَت من الثياب غير اللائق بهذه المناسبة.

كان السامري يرصد ارتباك واهتزاز موسى وتفاءل خيراً، ولكنه عاد وارتجف غضباً عندما ظهر جبريل عليه السلام واقترب من موسى يوحي اليه بكلمات ثبتت موسى بعض الشيء، فأيقن السامري بإنتصار موسى وبدأ يفكر كيف سيكون شكل الإنتصار ويعد العدة لكل احتمال ليحدد كيف سيشكك فيه ويقلب الطاولة على موسى وهارون عليهما السلام ويستفز فرعون عليهما بل والأهم هو كيف سيشكك بني إسرائيل أنفسهم في هذا الانتصار ويرهبهم من الإنصياع لموسى عليه السلام بناءاً على هذه النتيجة الحاسمة . وفي محاولة من موسى عليه السلام لردع السحرة اقترب منهم بثقة.

﴿ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ ﴿٦١﴾ ﴾ (٢).

﴿ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ (٣).

(١) الراوي : عبدالله بن عباس المحدث : البوصيري المصدر : إتحاف الخيرة المهرة الصفحة أو الرقم ٦/٢٣٤ خلاصة حكم المحدث : إسناده صحيح.
(٢) طه.
(٣) يونس.

اهتز السحرة قليلاً من كلمات موسى عليه السلام الواثقة المتوعدة وشكّوا في امره وانه نبي بالفعل، لأنهم يعرفون حقيقة سحرهم فما قال موسى عليه السلام عن سحرهم الا الحق اي انه يعرف حقيقتهم ﴿ فَتَنَٰزَعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجۡوَىٰ ﴿٦٢﴾ ﴾ (1).

ورصد السامري وبعض الصفوة هذه الحالة من السحرة، فأسرعوا لهم يدعمونهم ويشجعونهم ويمنونهم بما سيصبغه عليهم فرعون من النعم بعد انتصارهم، ودحر موسى وعصاه، واخذوا يحذرونهم بما يشبه التهديد.

قَالُوا:

﴿ إِنۡ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخۡرِجَاكُم مِّنۡ أَرۡضِكُم بِسِحۡرِهِمَا وَيَذۡهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلۡمُثۡلَىٰ ﴿٦٣﴾ فَأَجۡمِعُواْ كَيۡدَكُمۡ ثُمَّ ٱئۡتُواْ صَفّٗاۚ وَقَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡيَوۡمَ مَنِ ٱسۡتَعۡلَىٰ ﴿٦٤﴾ ﴾ (2) .

هذه الكلمات جعلتهم يستردون عافيتهم المعنوية والنفسية ويتماسكوا ويستيقظ بداخلهم الأمل والطمع فاقتربوا من موسى عليه السلام متحديين فقالوا كما جاء في الحديث الشريف :

يا موسى - لقدرتهم في أنفسهم بسحرهم - إما أن تلقي، وإما أن نكون نحن الملقين قال : بل ألقوا، فألقوا حبالهم وعصيهم، وقالوا بعزة فرعون إنا لنحن الغالبون (3).

﴿ فَلَمَّآ أَلۡقَوۡاْ سَحَرُوٓاْ أَعۡيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسۡتَرۡهَبُوهُمۡ وَجَآءُو بِسِحۡرٍ عَظِيمٖ ﴿١١٦﴾ ﴾ (4).

﴿ فَإِذَا حِبَالُهُمۡ وَعِصِيُّهُمۡ يُخَيَّلُ إِلَيۡهِ مِن سِحۡرِهِمۡ أَنَّهَا تَسۡعَىٰ ﴿٦٦﴾ ﴾ (5) .

---

(1) طه.
(2) طه.
(3) الراوي : عبدالله بن عباس المحدث : البوصيري المصدر : إتحاف الخيرة المهرة الصفحة أو الرقم 6/234:خلاصة حكم المحدث : إسناده صحيح.
(4) الأعراف.
(5) طه.

ارتبك موسى عليه السلام مما شاهد ومن ردود افعال الناس المنبهرة بما اتوه وتذكر انه هو نفسه شاهد قدراتهم منذ نحو العشر سنوات وتأثر بهم ولكنه تذكر ماقاله الحكماء من قومه عن حقيقة ماشاهد وانه خداع، وتذكر كيف واجه فرعون بهذا الرأي فثار وحرم عليه ارتياد مدينة بني إسرائيل، فتماسك قليلاً ولكنه عاد واكتشف انه قد عاد ليواجه الفرعون بالسحر الذي اعلن رفضه له من قبل، فعاد لإرتباكه خاصة وهو يشاهد مزيد من الحبال والعصي تتحول الى حيات خيل اليه انها تسعى بقوة في الميدان فيزداد صراخ المشاهدين خاصة النساء والاطفال ونسي ما عليه فعله وهو مجرد القاء عصاه

ارتاح السحرة لما رأوه نجاحاً ساحقاً وأخذوا ينظرون لموسى في تحدي ثم صرخ احدهم : لما لاتلق ياموسى؟

﴿ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓاْۖ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيْدُ سَٰحِرٍۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ ﴾

ويروي الحديث الشريف :

فرأى موسى عليه السلام من سحرهم ما أوجس في نفسه خيفة، فأوحى الله عز وجل إليه أن ألق عصاك، فلما ألقاها، صارت ثعباناً عظيما فاغرة فاها، فجعلت العصي بدعوة موسي عليه السلام تلتبس بالحبال حتى صارت جرزاً إلى الثعبان، فدخل فيه حتى ما أبقت عصا، ولا حبلاً إلا ابتلعته، فلما عرف السحرة ذلك، قالوا : لو كان هذا سحر لم يبلغ من سحرنا كل هذا، ولكنه أمر من الله، آمنا بالله ربنا وما جاء به موسى عليه السلام، ونتوب إلى الله عز وجل مما كنا عليه، وكسر الله ظهر فرعون في ذلك الموطن وأشياعه، وأظهر الحق وبطل ما كانوا يعملون، فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين

﴿ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُواْ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُواْ صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾[1].

---

(١)الأعراف.

كان الوضع رهيباً وماحدث قاطعاً، ذهل الناس مما حدث وبرزت الحقيقة جلية ..موسى وهارون عليهما السلام على الحق، هما بالفعل رسولان من الله. وتباينت ردود الأفعال ..المؤمنون وحكماء بني إسرائيل سجدوا لله شكراً، واشتعل الأمل في نفوس المصريين في الخلاص من طغيان فرعون على ايدي هذين النبيين ولكن باقي عامة بني إسرائيل ذهلوا وحاروا وتساءلوا، انتصر موسى ولكن كيف سيخرجهم من مصر وكيف سيقضي على هذا الجبار ومعه هامان وحولهما جنودهما ؟ عموماً عليهم أن يحذروا من ابداء فرحهم او حزنهم لإنتصار موسى ويترقبوا ما ستأتي به الأيام وردود افعال فرعون.

وعلى الجانب الآخر كانت زوجة فرعون الأولى تبدي فرحة غير متحفظة بنصر موسى، فرحة رآها آل فرعون وملأه واغتاظوا منها وهموا بأن يبلغوا بها فرعون ولكنهم وجدوا أن فرعون نفسه اهتز مما حدث وكاد يعود الى صوابه ويتذكر عقيدته وعقيدة آباءه التوحيدية خاصة بعد أن قام السحرة من السجود وثبتوا في مواجهته متماسكين وكاد فرعون يقر بالحق ويوافق على طلب موسى بإرسال بني إسرائيل معه ولكن هامان اسر له ببعض كلمات في اذنه أثارته مرة اخرى فواجه السحرة بحدة وغضب وتوعد :

﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا۟ مِنْهَآ أَهْلَهَا ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾[1] ﴿ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾ ﴾

ذهل الحضور مما سمعوا وانتظروا تراجع السحرة واسترحامهم فرعون ولكن هذا لم يحدث فقد ثبت السحرة:

﴿ قَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا ۚ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾ ﴾[2].

(١)الأعراف.
(٢)الأعراف.

﴿ قَالُواْ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾ ﴾[1].

طار موسى واخيه عليهما السلام فرحاً بموقف السحرة المؤمن المدعم له، وهو الموقف الذي زاد من حيرة عامة بني إسرائيل لذلك وبوحي من جبريل الأمين اقترب موسى عليه السلام من السحرة مدعماً وموجهاً كلمات حاسمة لهم ولكل الحضور قال :

﴿ إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾ ﴾[2].

وازدادت ثورة فرعون وأمر جنوده بتنفيذ حكمه في السحرة، فانقض عليهم الجنود وجردوهم من ملابسهم الخارجية واقتادوهم الى حيث سينفذ الحكم فانصاع السحرة وهم يرجعون ويستغفرون ويعلنون ندمهم ويطلبون العفو والتوبة وموسى عليه السلام يودعهم ويدعو لهم بالصبر ويبشرهم بالمغفرة والجنة .

واستغل آل فرعون الفرصة ليخبروه عن موقف زوجته الأولى وفرحها المعلن بإنتصار موسى فجاء دورها لينتقم منها ويجعلها عبرة لمن يعتبر ومن لا يعتبر، فهي سبب هذه الكارثة بتدخلها في امر هذا الرضيع ولو قتل في حينه لما حدث كل هذا .قال لها ذلك وهو يواجهها فقالت بثقة أن قدر الله نافذ مهما فعلت، فقال متحدياً: الأمر مازال في يدي وسترين ما سينفذ ارادتي ام ارادة رب هذا الفتى وربك .

(١)طه.
(٢)طه.

ويقول القرآن الكريم عنها وعن حالها :

﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾﴾

اصدر فرعون امره بشأن هذه الزوجة والذي ابان عنه الحديث الشريف :

فعن أبي هريرةَ قال أن فرعونَ أوتَدَ لامرأتِه أربعةَ أوتادٍ في يدَيها ورِجْلَيها فكان إذا تفرَّقوا عنها أظلَّتْها الملائكةُ فقالت ﴿رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ فكُشِفَ لها عن بيتِها في الجنَّةِ.

التقط موسى عليه السلام انفاسه وواجه فرعون واثقاً مطالباً بتحقيق طلبه بإرسال بني إسرائيل معه، فتحرك الصفوة بقيادة هارون ليواجهوا موسى عليه السلام رغم ماحدث فهم لا يريدون الخروج او انقلاب فرعون عليهم فيخسروا مصالحهم ومكانتهم :

﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٦﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِۦ وَمَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٣٧﴾﴾.

وفي محاولة يائسة لكن مصرة التفت فرعون للملأ الذين هم آله وصفوة بني إسرائيل، بل وتخطى ذلك الى شعب مصر نفسه الذي حضر الواقعة والذي كان يعرف تبرمهم وسخطهم ورفضهم لتأليهه فلا شك انهم تأثروا بما حدث خاصة القلة التي اقتنعت بتأليه الفرعون وآمنت به فلاشك انها اهتزت الآن بشدة، وجه حديثه المرتبك لكل هؤلاء ولم يهتم بعامة بني إسرائيل لأنهم في قبضة الصفوة خاصة قارون فلا خوف منهم ولن ينصاعوا لموسى الا بإذنه لمراقبة الصفوة والجنود لهم ..

صرخ فرعون :

﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾ وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ (١).

كان هذا الطلب من هامان دليلاً على شدة ارتباك فرعون، فتحقيق هذا الطلب يحتاج أشهر وهو يحتاج حجة او دليل فوري ليصحح الاتجاهات ويمحي اثر ماحدث، ولكن حديثه هذا لم يؤثر في الحضور الذين بدأوا في مغادرة الساحة بما ادركوه وفهموه مما حدث. ومروا في انصرافهم بمشهد السحرة بعد تنفيذ امر فرعون فيهم مصلوبين ولكن ملامح وجوههم الهادئة المطمئنة رغم بشاعة الحكم، هذه الملامح التي لايبدوا عليها اثر التعذيب قد أثرت بشدة في نفوس من شاهدهم وزادتهم يقيناً بأن موسى وأخيه عليهما السلام على الحق وانهما رسولا رب العالمين، وقد انتبه السامري لهذا التأثير فخاطب هامان ليقترح على فرعون سرعة اخفاء هذه الجثث فوافق.

توقفت عن القراءة وقلت لصديقي : الا زلت متشككاً في أن السحرة كانوا من بني إسرائيل ؟ لقد قدمت لك الدليل الدامغ على هذا. قال : وماهو ؟ قلت :ماذا قال السحرة حين خروا ساجدين ؟ قالوا:

﴿ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ .

هل كان المصريون يعرفون صيغة او مصطلح رب العالمين قال : الم يكونوا موحدين ؟ قلت: نعم ولكن المصطلح لم يكن معروفاً عندهم والدليل ماجاء في حوار موسى عليه السلام مع فرعون :

﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرْعَوْنُ إِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ هذا في سورة الأعراف، فبماذا رد فرعون في سورة الشعراء : ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ .

(١)القصص.

قـال صـديقي :تريـد أن تقـول أن سـؤال فرعـون عـن رب العالمين تعني انه لايعرف المصطلح ؟ قلت : بالطبع، لاهو ولا المصريين فكيف يكون السحرة مصريين ويقولوا رب العالمين وهم لم يحضروا لقاء موسى عليه السلام وفرعون ليسمعوا المصطلح من موسى عليه السلام ؟ ولكن بني اسرائيل كانوا يعرفون هذا المصطلح مسبقاً والدليل من سورة القصص حين التقى موسى ربه في الواداي المقدس طوى فقال له المولى عز وجل:

﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلۡوَادِ ٱلۡأَيۡمَنِ فِي ٱلۡبُقۡعَةِ ٱلۡمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٣٠ ﴾ ..سكت صديقي مفكراً ثم قال : لابأس، والدليل الآخر ؟ قلت : ماذا قال فرعون حين سجد السحرة ؟

قال صديقي : ﴿ قَالَ ءَامَنتُمۡ لَهُۥ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِي عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحۡرَ ﴾.

قلت : احسنت ياصديقي انه لكبيركم، كبير السحرة يكون من جنسهم ليعلمهم، اذن كانوا من قوم موسى عليه السلام . لم يبدو على صديقي الاقتناع التام فأضفت :الدليل الأهم بدايته في سورة البقرة اذ يقول الله :

﴿ أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ حَضَرَ يَعۡقُوبَ ٱلۡمَوۡتُ إِذۡ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعۡبُدُونَ مِنۢ بَعۡدِي ﴾ .

فأكمل صديقي : ﴿ قَالُواْ نَعۡبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗا وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٣ ﴾ (١).

قلت : فتح الله عليك وماذا قال السحرة لفرعون بعد أن سجدوا؟

(١)البقرة.

قالوا :

﴿ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَاۚ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ١٢٦ ﴾ (١).

قال صديقي : فهمت، السر في كلمة مسلمين التي يعرفها بنو إسـرائيل ولا يعرفهـا المصـريون ..الآن حصـحص الحـق، فابتسمت وقلت : نكمل الأحداث.

مع حلول ليل ذلك اليوم، كانت الساحة قد خلت من الحضور تماماً خاصة مع هبوب الرياح الباردة في شتاء مصر، فالوقت هو شهر طوبة ابرد شهور الشتاء، وعاد موسى وهارون عليهما السلام الى بيتهما وسط نظرات متباينة من قومهما، وبعد مشاورات قررا تأجيل مواجهة فرعون للصباح حتى يكون قد هدأ واستوعب ماحدث لعله يستجيب للطلب . ولكن فرعون كان يتم شحنه من هامان وقائد الجند والصفوة وعلى رأسهم قارون الذين توسلوا اليه الا يوافق على خروجهم مع موسى لاهم ولا عامتهم لأنهم يعبدون الفرعون ولا يريدون مفارقته والانصياع لإله آخر لا يعرفون عنه شيئاً، فاقتنع فرعون وقرر التمسك بموقفه وعدم خذلان بني إسرائيل ولا شعبه من المصريين الذين ستهتز ثقتهم في ألوهيته لو رضخ لأمر اله موسى وهارون، سيتمسك رغم كل ماحدث والذي فسره قارون وهامان انه سحر لكنه اعلى من سحر هؤلاء السحرة وأنهم امنوا بربه باعتبار انه اعلى منهم قدرة في السحر، ولا شك انه كان لزوجة الفرعون الباقية بعد التمثيل بالأولى، كان لها تأثيرها عليه في خلوتهما مما زاده اصراراً على العناد، لذلك عندما تواجه فرعون مع موسي عليه السلام في صباح اليوم التالي أبي الاستجابة لطلبة بداعي أن هذا السحر لن يؤثر فيه وانه يتحدي ربه أن يحقق مطلبه . سكت موسي واستأذن في الانصراف فسأل فرعون موسي عما سيفعله فقال انه نفذ امر ربه وابلغه الرسالة وانتهي دوره المكلف به حتي هذا الوقت وسينتظر الي أن تأتيه تعليمات جديدة من ربه وقبل ذلك لن يفعل شئ، فهدأ فرعون قليلا وامر بمراقبته بشدة.

(١)الأعراف.

حار المصريون فيما حدث وفي سكوت موسي بعد أن رفض فرعون طلبه ولم يستجب لرسالة الله وترقبوا تطور الأحداث وان كان شديدوا الإيمان منهم يثقون في وعد الله لنبي بني إسرائيل ولكن عليهم انتظار رد فعل الله وما سيفعله بالفرعون وملاه.

﴿ فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ ۚ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾(١).

اما الصفوة فقد ركزوا علي السيطرة علي عامة بني إسرائيل لكي لا يتواصلوا مع موسي وهارون ولا يستمعوا لهما في أمر الخروج من مصر، وذلك بوعد من فرعون وقارون بتحسين أحوالهم المعيشية والمادية وستكون أمامهم الفرصة للثراء الذي يقارب ثروة قارون واثار ذلك بالطبع فضولهم وطمعهم ولكن الحكماء قالوا أن طاعة الله اربح وافيد وهي الأبقي، وردا علي ذلك قرر قارون أن يثير طموح وطمع قومة ويزهو عليهم بمالة

﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾(٢).

كان خبر ما حدث لقارون علي مشهد من الجميع بمثابة انذار اول شديد اللهجة ادهش فرعون واذهل عامة بني إسرائيل بل وزلزلهم وانصف الحكماء فقد انشقت الأرض وابتلعت موكب قارون وسط ذهول الجميع، وفي اليوم التالي استيقظوا علي اختفاء داره تماماً ..فتراجع العامة كثيراً وفكر المصريون بعمق في دلالة ماحدث من معجزة صريحة..

(١)يونس.
(٢)القصص.

هذه اول بشارات التدخل الإلهي. لم يجد فرعون تفسيرا لهذه المعجزة وكاد يتراجع ويؤمن ولكن هامان وأغلب آل فرعون أدرجوها تحت باب الأعمال السحرية لموسي لإرهاب فرعون الذي يجب عليه أن يصمد ولا يهتز فوجد في هذا، المبرر المناسب المريح. ولكن الصفوة راجعوا أنفسهم بعد ما حدث لقارون على مشهد من الجميع وفهموا الإشارة وقرروا ترقب الصراع بين موسى وفرعون دون تدخل منهم لصالح فرعون، او لصالح موسي. ولم يطلب موسى عليه السلام من فرعون هذه المرة الإستجابة لطلبه لأن المعجزة اصابت قوم موسي عليه السلام ولا دخل لفرعون وآله بها.. رغم أن فرعون توقع هذا التصرف من موسى عليه السلام واستعد لرفضه ولكن موسي عليه السلام لم يطلب، بل كان له هو وأخيه عليهما السلام مهمة اخرى تمهيدية كلفهم بها الله في هذه الظروف :

﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾ قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾.

وبعد عدة شهور جاء التحذير الأول لفرعون وآله من رب العالمين استجابة لطلب ودعاء موسى عليه السلام:

﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾ ﴾

أريد أن أسلط الضوء على أن هاتان الكارثتان كانتا موجهتين لآل فرعون بنص الآية الكريمة، والأخذ بالسنين تعني الجدب والقحط ونقص الثمرات تعني المحاصيل الزراعية ثروة مصر الأساسية في اغلب الأزمان. ولكي ندرك عمق المصاب يجب أن نحيط علماً بمواسم الزراعة في مصر طالما أن المصاب كان في المحاصيل، فبفضل النيل انقسمت السنة عند المصرى إلى فصول ثلاثة.

وكانت فصول السنة هي:

الفصل الأول : «فصل الفيضان» وكان يسمي في المصرية القديمة «آخت»وكانت شهوره بالقبطية عن الأصول المصريه كالتالي: توت (سبتمبر) بابه(أكتوبر) هاتور(نوفمبر) كهيك (ديسمبر).

الفصل الثاني : «فصل الزراعة» وهو خروج الزرع من الأرض، وكان يسمي «برت» وكانت شهوره : طوبه (يناير) أمشير (فبراير) برمهات (مارس) برموده(إبريل).

الفصل الثالث: «فصل الصيف»وهو الحصاد وكان يسمي«شمو» وشهوره كانت:بشنس(مايو)بؤونه(يونيه) أبيب (يوليه) مسري(أغسطس) .

وكان المصريون يزرعون من الحبوب القمح والشعير والعدس والفول والحمص والبازلاء والحلبة ومن الخضر الخص والبصل والثوم والكرات والقيثاء والخروع والكتان وكان يقوم بتقسيم الحقول إلى أحواض ويقوم يريها بالشادوف كذلك عمل على زراعة أنواع كثيرة من الأشجار بثمارها وخشبها وظلها . كذلك عرف زراعة الفواكه بأنواعها من أشهرها الجميز والتين والعنب والزيتون والرمان، بل ونقل إلى مصر أنواع مختلفة من الأشجار من أسيا وأفريقيا.

فإذا حل موسم الحصاد ونضج الزرع عمد الفلاحين إلى الحصاد وجنى المحصول فى سعادة على أنغام الناى والغناء . وكان يتم حصر المحاصيل ومقاديرها لتدبير الاقتصاد القومى وتوفير الغذاء للشعب المصرى طوال العام لمواجهة إنخفاض النيل. معني ذلك أن يوم الزينة كان في شهر طوبة وهو بداية موسم الزراعة والذي يستمر حتي برمودة ثم يبدأ موسم الحصاد من شهر بشنس.

هدأت الأحوال في مصر واطمئن فرعون قليلا فقد مر شهور دون أحداث مفاجئة حتى ظن فرعون وربما الصفوة أن مهمة موسى قد باءت بالفشل ففكروا في العودة لأحضان فرعون معتذرين، وانتظروا موسم الحصاد ليسترضوه بهدية لائقة من حصاد اراضيهم . حتي جاء موسم الحصاد وهذا كان الإنذار الإلهي الأول، فعند الحصاد كان هناك نقص مؤثر في المحاصيل في اراضي فرعون وهامان وآل فرعون والجنود وهي اغلب الاراضي، مما سبب لهم خسائر كبيرة ولكن اراضي عامة الشعب المصري لم يصبها جدب كنص الآية :

﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾ ﴾[١].

إن نقص الثمرات اصاب آل فرعون فقط لأن شعب مصر لا ذنب له كما أن النقص في اراضي دون الأخرى هي المعجزة الحقيقية والا فان الجدب العام ظاهرة يمكن أن تكون طبيعية، اذن الإنذار او الآية الأولي بدأت بعد اربعة اشهر من يوم الزينة ودامت أربعة أشهر وهو نهاية موسم الحصاد . وتجلت المأساة كاملة في كم الخسائر التي تكبدها آل فرعون من نقص الثمار والتي أثرت على الإقتصاد المصري في ذلك العام ولكنه لم يمس شعب مصر.. صدم فرعون ولكن حاشية السوء من هامان وآله هونا من الأمر رغم غرابة الحدث في التفاوت بين محاصيل أراضي الشعب وأراضي الخاصة الفرعونية ولكنهم رفضوا الاعتراف بأن ماحدث كان غضباً من اله موسى وإنذاراً لهم واقنعوا انفسهم انه ظاهرة طبيعية غريبة بعض الشيء. ولكن الصفوة فهموا الإشارة وتراجعوا عن نيتهم في استدرار عطف فرعون ومهاداته .

ثم جاء الإنذار الثاني بعد موسم الحصاد مباشرة بشح ماء الفيضان في ذلك العام فحدث الجدب وتباشير القحط فقد كان معنى ذلك أن الموسم الزراعي التالي سيتأثر بشدة بقلة الماء . ومع نهاية موسم الفيضان بعد اربعة اشهر من الحصاد – اي بعد عام من يوم الزينة الأول – تأكد الجدب والقحط في العام التالي .

هذا الترتيب المنطقي لحدثي نقص الثمار وجدب الفيضان هو ما جعلني اقدم نقص الثمار على جدب الفيضان رغم أن الآية الكريمة تورد الجدب اولاً، ذلك لأن حرف « الواو » لا يعني الترتيب في اللغة العربية بعكس حرف « الفاء » أو كلمة « ثم » ولكن كون الحصاد في مصر يأتي قبل الفيضان فذلك أكد أن نقص الثمار كان قبل الجدب (الأخذ بالسنين) الا إذا افترضنا أن الجدب كان أولاً في نفس العام ثم كان نقص الثمار في العام التالي اي بعده بثمانية أشهر وفي هذه الحالة لن يُصدَم آل فرعون من نقص الثمار لأنه سيكون متوقعاً بسبب الجدب..

---

(١)الأعراف.

اذن المناسب لسرعة وطبيعة الأحداث هو ماذكرناه من أن نقص الثمار كان اولاً وتبعه الجدب الذي بشر بنقص آخر في الثمرات في العام التالي، بل وجعل آل فرعون لا يكابرون في الإعتراف بدور رب موسى وهارون في هذا الحدث المؤثر، فلجأوا الى موسى يسترضونه ويطلبون منه أن يدعو ربه ليزيح الغمة ووعدوه آنذاك أن يرسلوا معه بني إسرائيل، ﴿لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٣٤﴾﴾[١].

فدعا موسى ربه فإستجاب وتدفق ماء النهر بعد موسم الفيضان في معجزة واضحة سعد بها شعب مصر وشكروا الله عليها ، ولكن آل فرعون لم يلتزموا بما تعهدوا به لموسى عليه السلام :

﴿ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿١٣٥﴾﴾[٢].

ضلال وطغيان آل فرعون جعلهم يقولون انهم تسرعوا في حديثهم مع موسى ووعدهم اياه بإرسال بني إسرائيل معه، ولو صبروا قليلاً لجاء الماء من تلقاء نفسه كما جاء، بل وربما ادعى غلاتهم أن الفرعون الإله هو من حل المشكلة وجاء بالماء بعد موعده المعتاد..اي أن الفرعون هو صاحب المعجزة لذلك نكصوا عن الالتزام بوعدهم لموسى بإرسال بنو إسرائيل معه. ولم يكتفوا بذلك، بل تطاولوا على موسى عليه السلام وكرروا اتهامهم له بالسحر مؤكدين أنهم لن يأبهوا مستقبلاً بأفعاله السحرية :

﴿فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ ۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾ وَقَالُوا۟ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾﴾[٣].

---

(١)الأعراف.
(٢)الأعراف.
(٣)الأعراف.

ولـم يكتفـوا بـذلك بـل اسـتفزوا فرعـون ضـده وضـد بنـي إسرائيل:

﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ﴾(١).

﴿ فَقَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾(٢).

واستجاب فرعون لإستفزازهم وانفعل :

﴿قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴿١٢٧﴾ ﴾(٣).

فقرر فرعون في عصبية شديدة الإنتقام من بني إسرائيل خاصة وان صفوتهم قد تراجعوا وابتعدوا عن الفرعون بعدما حدث لقارون امام اعينهم مما جعلهم مستهدفين من فرعون فقرر فرعون الإستجابة لاستفزاز آله وزوجته فقام بعملية تذبيح لبعض الصبية الذكور واجبر بعض النسوة منهم علي العمل في منازل آل فرعون، فانزعج بنو إسرائيل بشدة ولجأوا إلى موسي فأخذ يحثهم علي الصبر حتي يقضي الله أمره :

﴿ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ قَالُوٓا۟ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٢٩﴾ ﴾(٤).

وبعد هذه المذابح المبدئية بدأت الإنذارات الخمس تتوالى في تحد واضح وإنذارات متصاعدة الشدة في اللهجة ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾ ﴾.

---

(١)الأعراف : ١٢٧.
(٢)المؤمنون.
(٣)الأعراف.
(٤)الأعراف.

وأتصور ترتيباً لهذه الآيات بنفس منطق ترتيب آيتي نقص الثمار والأخذ بالسنين، وهو سرعة ايقاع الآيات المحذرة النهائية وكذلك تناسب نوع الآية مع تطور فصول السنة، لذلك ارى أن هذه الآيات الخمس بدأت في بداية موسم الزراعة في طوبة بهجوم شرس للضفادع بأعداد كبيرة ..والضفادع حيوانات فقارية من فصيلة البرمائيات، وتتميز بأجسامها القصيرة اللينة، وسيقانها الخلفية طويلة، تنتهي بأصابع مترابطة بأغشية رقيقة، تساعدها على السباحة، عيونها جاحظة، وليس لها ذيل. معظم الضفادع تعيش في وسط شبه مائي، وتتحرك بالقفز، ويمكنها التسلق. تضع بيوضها في الجداول، والبرك، والبحيرات، وهي تمتلك خياشيم للتنفس في الماء. والضفادع البالغة من المفترسات وتتغذى على المفصليات والديدان الحلقية وبطنيات القدم وهي غالبا ما تلاحظ، من خلال أصوات نقيقها، في الليل،أو النهار، وصوتها مزعج جداً لا يسمح بالنوم ليلاً، ولنا أن نتصور الحال وقد ظهرت الضفادع بأعداد ضخمة ولاشك انها كانت من النوع المفترس، حتى ملئت المجاري المائية وغزت بيوت آل فرعون بل وقصر الفرعون نفسه وايضا دون بيوت الشعب او المجاري المائية القريبة منهم ، وحاول آل فرعون لثلاثة شهور مقاومة هذه الضفادع دون جدوي وحين يأسوا سارع آل فرعون لموسي مرة أخرى منيبين مستسلمين هذه المرة لينقذهم من الضفادع وقد اعترفوا بأن هذا من عند رب موسي وليس سحرا، ووعدوه مجدداً بارسال بني إسرائيل معه، وعندما اختفت الضفادع طالبهم موسي عليه السلام بتنفيذ وعدهم ولكنهم نكثوا بعهدهم مرة ثانية دون تبرير:

﴿ وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهۡتَدُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَمَّا كَشَفۡنَا عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابَ إِذَا هُمۡ يَنكُثُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾(1).

وعندما لجأ موسى عليه السلام لفرعون ليشكو ما فعله آله ونكسهم لعهدهم معه مرتين وطالبه بتنفيذ تعهد آله، رفض فرعون بحجة انه لم يعد بشيء، ولم يكن امام موسي واخوه عليهما السلام الا الصبر وانتظار اوامر الله . بعد أن حذروهم من المزيد من غضب الله..فلم يبالوا بل وسخروا وتحدوا.

---

(١)الزخرف.

وكان الرد الإلهي بعد شهرين اي في بداية موسم الحصاد في شهر بشنس بهجوم كاسح للجراد، والجراد هي حشرات من رتبة مستقيمات الأجنحة، يوجد ما يزيد على ٢٠٠٠٠ نوع منها في العالم. ويعتبر الجراد نوعا من حشرات الجنادب التي تمتلك أرجلا خلفية قوية تساعدها على القفز، وهي حشرات آكلة للنبات تستطيع القفز إلى ٢٠ مرة أطول من جسمها. و طول الجرادة الناضجة يتراوح بين ٣ إلى ١٣ سم، وهي تسير في اسراب كبيرة العدد، فالكيلومتر المربع منه يحتوي على ٥٠ مليون جرادة على الأقل، والجراد يلتهم في الكيلومتر الواحد من السرب حوالي ١٠٠ ألف طن من النباتات الخضراء في اليوم، وهو ما يكفي لغذاء نصف مليون شخص لمدة سنة وتتغذى الحشرات على الأوراق والأزهار والثمار والبذور وقشور النبات والبراعم وبصفة عامة يصعب تقدير الأضرار التي يسببها الجراد بسبب طبيعة الهجوم العالية، حيث تعتمد الأضرار على المدة التي سيبقى بها الجراد في المنطقة الواحدة وحجم الجراد ومرحلة المحصول .. وبحسبة بسيطة فلو دام هجوم سرب واحد من الجراد في ذالك الزمان شهراً لأهلك محصول العام كله من كافة المحاصيل بل والبذور ايضاً، فكان من الطبيعي أن يسارع آل فرعون الى فرعون هذه المرة فلم يكونوا يجرؤوا على اللجوء لموسى عليه السلام بعد مافعلوه في المرتين السابقتين، لجأوا الى إلاههم المدعي لينقذهم مما حاق بهم على يد اله موسى وبني إسرائيل، والذي جاء مصداقاً لتحذير موسى عليه السلام لهم بمزيد من الغضب من الله . ولم يجد فرعون بداً من التفاوض مع موسى ليرفع ربه البلاء، فاستدعاه وطلب منه أن يدعو ربه ليرفع هذا البلاء على وعد بإرسال بني إسرائيل معه بعد موسم الحصاد لأنهم يعملون فيه، ووافق موسى عليه السلام وابتهل الى الله امام فرعون فجاءت الأخبار بعد ساعة قضاها موسى عليه السلام وكأنه رهينة عند فرعون، جاءت بإنحسار موجات الجراد ومواصلة اعمال الحصاد فإنصرف موسى عليه السلام منتظراً تحقيق فرعون لوعده بعد انقضاء موسم الحصاد اي بعد ثلاثة اشهر كما اكد فرعون . وحين انتهى موسم الحصاد أن اوان تنفيذ فرعون لوعده، ولعل فرعون كان مستعداً للتنفيذ لولا الحاح هامان وال فرعون عليه لعدم الإنصياع مؤكدين أن ما في جعبة اله موسى قد نفذ وانه ليس هناك اسوأ مما كان، فرضخ فرعون لهم بسبب ما اوضحناه من ضعف في شخصيته وانغماسه في جنون العظمة، ورفض استقبال موسى عليه السلام مكلفاً احد الجنود بإبلاغه أن فرعون لن يرسل معه بني إسرائيل.

ولم يكن امام موسى عليه السلام الا الإنتظار لأمر الله والذي لم يتأخر وكانت الآية السابعة وهي الطوفان، فبعد انتهاء موسم الحصاد كان انتظار المصريين للفيضان الذي جاء ولكنه جاء كالطوفان الكاسح المغرق لبيوت واراضي آل فرعون وايضاً دون بيوت الشعب المصري، وذهل الجميع مما يحدث بدقة متناهية، فالطوفان او مسار الفيضان يتجاوز بيوت ويدخل بيوت مجاورة دون اي مبرر سوى انها ارادة الله .

وعم الخراب بيوت آل فرعون بل وهدد قصور فرعون نفسه وسادت الفوضى وتجاوز الطوفان مدينة بني إسرائيل فرأوا المعجزة بأعينهم كما شاهدوا سابقاتها ولكن هذه كانت اقوى وافدح خسارة . وصلت الأخبار للفرعون بكل هذه التفاصيل الإعجازية فأصابه الذهول خاصة حين رأى حال آله وجنوده الذين طالهم الخراب لأنهم شاركوه الخطايا والجبروت وكفروا بالله، ولم يتردد في الذهاب له بنفسه وسط ذهول كل اطياف بني إسرائيل ليرجوه أن يرفع عنهم البلاء بالدعاء لربه، مؤكداً ومقسماً انه سيرسل معه بني إسرائيل فور انقشاع هذه الغمة، ولعله كان صادقاً بالفعل هذه المرة ولن يسمح لأحد من آله او جنده او حتى هامان أن يراجعه..

واستجاب موسى عليه السلام ودعا ربه فأزال الغمة وانحسر الماء وابتلعت الأرض المياه الزائدة وتركت النهر ممتلىء بالماء . وهم فرعون بتنفيذ تعهده لموسى عليه السلام ، فقد تعب مما حدث وارق البلاد من جراء هذه النكبات المتنوعة والغريبة في احوالها، حرك هامان للمرة الثانية زوجة الفرعون الطموحة لكي تثنيه عن عزمه . وبتركيبة فرعون الضعيفة المهزوزة نجحت الزوجة بأساليبها الزوجية الخاصة في اقناعه بالنكوث في وعده فنكث بالفعل ولم يتورع عن مواجهة موسى عليه السلام بذلك ودون تبرير غير عابيء بتحذيرات موسى عليه السلام من مزيد من الغضب .

يقول الحديث الشريف :

فلما طال مكث موسى عليه السلام لمواعيد فرعون الكاذبة، كلما جاءه بآية وعده عندها أن يرسل معه بني إسرائيل، فإذا مضت، أخلف موعده وقال : هل يستطيع ربك أن يصنع غير هذا(١).

ويقول القرآن الكريم في وصف تدرج الآيات:

﴿وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِىَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾﴾ (٢).

وصلنا لبداية العام الثالث للقاء موسى والسحرة وهو موسم الزراعة، وصار الشعب المصري من ناحية وبني إسرائيل من ناحية اخرى بل وفرعون وآله وجنوده يترقبون نهاية هذا الصراع المعلن بين فرعون ورب موسى، هل سينسحب موسى وينهزم هو وربه امام عناد فرعون ؟ كان هذا سؤال بني إسرائيل . وتساءل الشعب المصري هل هناك معجزات اخرى سيرسلها الله كتحذير أخير لفرعون ؟ وكان لسان حال آل فرعون وربما فرعون نفسه وهامان وجنودهما ..وماذا بعد ؟متى وكيف سينتهى هذا الأمر المرهق المثير للقلق ؟

وكانت الإجابة في موسم الزراعة التالي بعد ثلاثة اشهر، حيث فوجئ الزراع في اراضي آل فرعون بالماء وقد صار دماً، دماً خالصاً وليس ماءاً مخلوطاً بالدم ..كيف سيزرعون ؟ بماذا سيروون ؟ الدم لا يصلح للري، بل ماذا سيشربون ؟ انهم لايشربون الدم، لايشربون الا الماء ؟ اين يجدون الماء ؟ يجدونه فقط في اراضي الشعب المصري وجداولهم، الماء كما يعرفونه، يمكنهم أن يشربوه من هذه الجداول ولكن لا يستطيعون الري لأنها بعيدة عن اراضيهم الكائنة في الأماكن المتميزة فهم آل الإله، تحول كل الماء في اراضيهم لدم .

---

(١)الراوي : عبدالله بن عباس المحدث : البوصيري المصدر : إتحاف الخيرة المهرة الصفحة أو الرقم ٦/٢٣٤ خلاصة حكم المحدث : إسناده صحيح.
(٢)الزخرف.

انتشر الخبر في العاصمة وفي مدينة بني إسرائيل الذين اسرعوا لجداول الشعب ليملأوا منها ماء للشرب والحياة . وفي قصر الفرعون استيقظت الزوجة وهمت بمغادرة الفراش فطلب منها فرعون كوب من الماء من الجدول الخاص بجناحه الإلهي، وعندما كان الفرعون ينتظر الماء سمع صرخة مدوية من زوجته، فهب من فراشه منزعجاً مندهشاً واسرع اليها ليجد في يدها كوب وهي تنظر بداخله مذعورة ثم تنظر لفرعون فأخذ منها الكوب فوجد فيه دم، نظر في الجدول فإذا ماؤه صار دماً، اسرع فرعون لباقي الجداول في القصر ليجدها على نفس الحال والكل يقف مذهولاً امامها. واسقط في يد فرعون، كيف يفسر ما يحدث ؟ لقد حذره موسى من عقاب اكبر من ربه وهاهو، حتى زوجته المحرضة ارتعدت وانهارت باكية مما حدث وتراجعت وطالبته بإرسال بني إسرائيل مع موسى فما هي فائدتهم له ؟ قال مذهولاً: يخرجون من مصر؟ هم لايريدون الخروج .قالت الزوجة : فليخرج من يريد الخروج وليبقى من يبقى كفانا مارأيناه من معجزات واعاجيب نريد أن نرتاح وننعم بالحياة المستقرة . قال وهو اشبه بالمسحور : سيخرج العامة الذين يصنعون الأحجار التي ابني بها امجادي، من سنسخره في هذا العمل الشاق المهين ؟ قالت الزوجة منفعلة : كفاك امجاداً، سنموت وتموت معنا . قال مهلوساً : انا اموت ؟ انا الإله.

هنا سكتت الزوجة فقد ادركت انهم يدفعون ثمن الكذبة التي كذبوها وهاهو صدقها ولن يقتنع بغيرها وسيهلكهم معه، فتركته واسرعت لهامان تخبره بما آل اليه حال فرعون فوجدته حائراً هو الآخر في مواجهة ما يحدث فالأزمة مستحكمة والناس تتزاحم على جداول مياة الشعب المحددودة العدد ولكن كل امر يحتمل، الجوع يحتمل ولكن الظمأ لايمكن احتماله ..لقد اصابهم في الطعام فلم يرتدعوا فليجربوا الظمأ اذن . لم يكن عند هامان شك في أن مايحدث هو من رب موسى، وموسى لن يصدق فرعون بعد ما حدث، وهاهي اياماً مرت دون أن يتغير الحال وتزول الغمة ويرجع الماء لحاله ويختفي الدم ، والأزمة تتفاقم والسخط يزداد لأن جنوده وجنود فرعون يحتكرون الماء لأنفسهم ويضنون به على الآخرين، وهذا السخط الشعبي يعرف مدى خطورته، لذلك توجه هامان الى بيت موسى عليه السلام وكرر نفس الرجاء وقدم كل التعهدات بإرسال بني إسرائيل معه

وبأمر الله وافق موسى عليه السلام وتوجه بالدعاء الى الله امام هامان ليرفع البلاء، وكان في يد هارون اناء به دم ورأى بعينيه كيف عاد الدم ليصبح ماءاً، وتذكر كيف رأى من قبل مرتان عصا موسى وهي تتحول الى حية ثم تعود سيرتها الأولى ..ولكنه رأى أن هذا تأكيداً لأن مايحدث هو السحر الأعظم الذي لايعرفه الا السحرة المصريون، فهل اتصل بهم وعرف من أسرارهم مالم يعرفه باقي سحرة بني اسرائيل السابقون ؟ سيبحث هذا الأمر وأمامه فترة مناسبة .. المهم أن الدم اختفى وعاد الماء، وهم بالانصراف فسأله موسى عليه السلام عن وعده ومتى يخرج ببني إسرائيل ؟ فقال له بلهجة صدقها موسى عليه السلام انه عند وعده ولكن موسم الزراعة بدأ وهم لهم دور هام لايمكن الاستغناء عنه فجأة .. بعد انتهاء موسم الزراعة يمكنه أن يخرج بهم، وقال مؤكداً : قل لهم يستعدون من الآن للخروج معك، وأمامنا فرصة حتى موسم الزراعة القادم لندبر من يحل محلهم وندربه على فنون الزراعة، وخرج هامان منتصراً وانتظر موسى عليه السلام بأمر الله .

وبعد انتهاء موسم الزراعة، اخذ هامان يتهرب من لقاء موسى عليه السلام رغم انه تحرى الأمر وتأكد انه لاعلاقة لموسى بالسحرة المصريين، بل أن احد كبار هؤلاء السحرة قال للجندي الذي ارسله هامان وبعد أن سمع منه تفاصيل الأحداث، أن هذا ليس بسحر بشري انها قدرة الهية، ولكن هامان أصر على رأيه الذي يرتاح اليه ومن هنا تهرب من موسى عليه السلام وعندما التقى به اعتذر له بسبب انشغاله الشديد وتهرب من وعده، بالتأجيل لما بعد موسم الحصاد للاحتياج لبني إسرائيل ايضاً في الحصاد، اما بعد الحصاد فلا شئ يمنع من رحيلهم لأنه لاعمل في موسم الفيضان ودعم ذلك بحجة أن لهم نصيب من الحصاد يجب أن يأخذوه ليعينهم في سفرهم الذي عرف من موسى عليه السلام انه خروج لم يخطره الله بعد طريقه ولا مقصده وتعجب هامان ولكن هذا أمر لا يهمه وان كان دليلاً على كذب موسى وانه لاشك له غرض من خروجهم من مصر معه..وهو امر لايهم كشفه لأنهم لن يخرجوا ابدا..هكذا كان يرى هامان . ومع هذا التسويف من هامان كان لابد للعدالة الإلهية أن تتدخل بإنذار أخير مؤثر .

توقفت متصوراً أن جلسة اليوم قد انتهت ولكن صديقي فجأني بأنه لن يستطيع الصبر حتى اليوم التالي ويريد أن يسمع نهاية الرواية اليوم . سكت محرجاً ولاحظ هو ذلك فقال : لقد اعددت غداءاً لائقاً، سنتناول الغداء ثم نستريح قليلاً ثم نواصل الرواية..فإبتسمت وقلت : لا بأس.

الفصل الخامس : الخروج

كان غداءاً ممتعاً بالفعل، رغم انني تناولته وأنا أراجع أحداث الفصل الخامس في ذهني، فهو الفصل الختامي، ولابد أن تكون النهاية قوية ومقنعة ومحفزة لقراءة الرواية التالية بإذن الله. كما كنت أحاول استنتاج ملاحظات صديقي على الفصل الرابع لأستعد للرد عليها..ورغم ذلك استمتعت بالغداء الشهي .

بعد الغداء والراحة المناسبة التفت لصديقي الذي بادرني : لي استفسار ولكنني سأرجئه هذه المرة حتى اسمع ماحدث في الإنذار النهائي، فقلت : لا بأس، استفسار واحد، فابتسم صديقي قائلاً : نعم واحد فقط ، ولكن لنستمع اولاً، الإنذار النهائي أكان هو القُمَّل ؟ قلت : نعم، فمع بداية موسم الحصاد انتشر القُمَّل في رؤوس وأجساد العاملين في حقول آل فرعون وجنوده فقط كالعادة، والقُمَّل حشرة رمادية سمراء اللون صغيرة الحجم جداً ويبلغ طولها حوالي ٢,٥ مليمتر. ويعيش القُمَّل عادة على فروة رأس المضيف أو منطقة شعر العانة أو تحت الإبط ويعتاش على دم المضيف عن طريق عض فروة الرأس. هي حشرة صغيرة في حجم حبة السمسم يكون لونها عندما تفقس من الصئبان أبيض ولكنها سرعان ما يتغير لونها إلى البني المحمر بمجرد تغذيتها على دم الإنسان . لها ٦ أرجل ذات مخالب قويه تمكنها من التمسك بشعر الإنسان بقوة حتى أثناء الإستحمام . ليس لها أجنحة ولا تستطيع القفز كما يعتقد كثير من الناس. يقوم القُمَّل الذكر البالغ والأنثى بالتزاوج ووضع البيض الذي يلصقانه بقوة على الشعرات الفردية القريبة من فروة الرأس والتي من الصعب إزالتها وبعد سبعة إلى ثمانية أيام تفقص بيوض القمَّل وتخرج منها صغار القُمَّل تاركة قشور البيض البيضاء اللماعة فارغة على الشعر.تنضج أنثى القُمَّل في ٧-١٠ أيام فقط حيث تقدر بعدها على التبويض، وقد تبيض الأنثى حوالي ٨ بيضات في اليوم الواحد. تفقس الصئبان هذه بعد ٧-١٠ أيام أخرى لتتكرر الدورة الحياتية للقمل. ولنا أن نتصور حال من يعملون في جمع المحاصيل وهم يعانون من انتشار هذا القُمَّل الذي وصفناه في رؤوسهم وأجسادهم وهم متلاحمون في العمل فتتناقل العدوى بينهم ولا تنتهي . وتأثر العمل جداً وكاد الموسم أن يفسد ولا يتم جني كل المحاصيل

فأسرع هامان الى موسى يلومه على ما يظن انه فعله فأكد له موسى انه لادخل له فيما ينزله الله عليهم من عقاب لا في كمه ولا في نوعه ولا في توقيته، هذه ارادة الهية، فرجاه هامان أن يدعو ربه ليرفع عنهم هذا المقت والغضب فدعا موسى فاستجاب له الله ورفع المعاناة، وانتهى موسم الحصاد وانتظر موسى تحقيق هارون لوعده اربعة اشهر كما امره الله دون جدوى.

قاطعني صديقي قائلاً : وصلنا لحدث الخروج من مصر وملابساته، وجاء وقت استفساري.

فقلت : تفضل كلي آذان صاغية . قال : موقف السحرة مع موسى وتفاصيل ماحدث، اولاً ماهو السحر ؟ هو امر حقيقي طالما ذكر في القرآن . قلت : بلا شك . قال : ولكنه غير واضح المعنى، لقد قرأت كل الآيات التي تتحدث عن السحر ولم افهمه، فهل لديك تصور ؟ قلت : هذا الأمر لم يمر عليّ مرور الكرام، لقد تأملته جيداً ووصلت لتصور له ارجو أن يكون صحيحاً، ولنستعرضه معاً . ارى أن السحر فتنة ضمن الفتن التي فتننا بها الله، خاصة المؤمنين . وهذا يتضح من قوله تعالى :

﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ ﴾(١).

فشأنه شأن سائر الفتن مثل المال، نعمة إن احسنا استغلاله فيما امرنا به الله من زكاة وصدقات، ونقمة أن اسأنا استغلاله ونسينا انه من عند الله ظناً اننا حصلناه بجهدنا كما قال قارون اوتيته على علم عندي، اذن السحر مفيد لمن يستغله فيما يرضي الله ونقمة على من يحاول استغلاله فيما يغضب الله .

اما عن طبيعة السحر فأرى انها واضحة من الآيات التالية :

﴿ قَالَ أَلْقُواْ فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾ ﴾(٢).

---

(١)العنكبوت.
(٢)الأعراف.

هذا ماقاله القرآن في سورة الأعراف عما احدثه سحرة فرعون في الناس، استرهبوا اعينهم اي خدعوا اعينهم بأن جعلوهم يرون شئ غير حقيقي او لا يحدث في آية اخرى عن نفس الموقف يقول المولى عز وجل : ﴿ قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟ ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ ﴾ (١).

عين الإنسان اذن هي مقصد السحر ومجال تأثيره، فالتخييل او الخيال او التخيل يكون بالأعين، وهذا يتأكد من الآية التالية

﴿ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ﴾.

اعرف أن هذه الآية تمثل للكثيرين لغز محير ولكن ، دعني اولاً اعلق على هذه الجزئية من الآية والتي تؤكد وجهة نظري في أن العين هي مناط تأثير السحر، فتقول الآية أن الملكين يقولان للناس انما نحن فتنة - وهذا يؤكد قولي أن السحر فتنة – ثم يحذران من أن يكفر من يتعلم منهما السحر والكفر هنا في استخدام السحر فيما يغضب الله وضربت الآية مثلاً للإستخدام السئ بأنهم يتعلمون ما يفرقون به بين المرء وزوجه وهنا السؤال، لماذا بين المرء وزوجه ؟ لماذا لم يكن بين المرء واخيه او ابنه او ابيه ؟ سكت صديقي مفكراً وقد اثاره السؤال فأردفت : لأن المرء ينجذب لزوجته برؤيتها بعينه فلو رآها اسوأ من صورتها التي يحبها عليها فسيكرهها ويفترق عنها . قال صديقي : سحروا أعينه فرآها دميمة ففارقها وهذا لا يحدث مع غير الزوجة تأثير في المشاعر او الحواس . قلت : ليس كل الحواس البصر فقط..هذا هو السحر كما اراه.

قال صديقي : وما تاريخ السحر ؟ قلت : اعتقد أن السحر قديم قدم البشرية، قدرة اختص الله بها البعض من خلقه كاختبار مثل القدرة العضلية او الجسمانية كقوم عاد، والدليل قول قوم ثمود لنبيهم صالح عليه السلام :

﴿ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ (٢).

---

(١) طه.
(٢) الشعراء.

وكذلك قال قوم مدين لنبيهم شعيباً عليه السلام:

﴿ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلۡمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ ﴾ .

السحر اذن معروف منذ الأزل على الأرض وله رجاله، ونلاحظ أن اتهام النبيين بالتعرض للسحر لأنهم يرون إلهاً غير الآلهة التي تقف امامهم واضحة ، اله غير مرئي اذن اعينهم مسحورة .

قال صديقي : فكرة مقبولة ومنطقية، وماذا عن آية سورة البقرة التي تحيرني ؟ قلت : حيرتني انا ايضاً بل وحيرت المفسرين، ولكن وصلت لتصور معين بشأنها يهمني أن اعرف رأيك فيه، قال :هات ماعندك.

قلت : تعالى نقرأ الآية المرجوة والآيات الثلاث السابقة لها لنعرف السياق الذي وردت فيه خاصة وانها تبدأ بكلمة «واتبعوا» وحرف الواو حرف عطف ..معطوف على ماذا ؟ ومن الذين اتبعوا ؟ وكيف كان الإتباع ؟

الآيات كلها تحكي عن بني إسرائيل ومواقفهم من الإسلام ورسوله ﷺ وتقول :

﴿ وَلَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖۖ وَمَا يَكۡفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿٩٩﴾ أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُواْ عَهۡدٗا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٠٠﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٞ لِّمَا مَعَهُمۡ نَبَذَ فَرِيقٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمۡ كَأَنَّهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿١٠١﴾ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتۡلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلۡكِ سُلَيۡمَٰنَۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيۡمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحۡرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلۡمَلَكَيۡنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنۡ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحۡنُ فِتۡنَةٞ فَلَا تَكۡفُرۡۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنۡهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَزَوۡجِهِۦۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنۡ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡۚ وَلَقَدۡ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشۡتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنۡ خَلَٰقٖۚ وَلَبِئۡسَ مَا شَرَوۡاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمۡۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ .

الواضح انهم عاهدوا الرسول ﷺ عهداً ولكنهم كعادتهم لم يلتزموا به وواضح انه عهد بالإيمان به، ولما استشهد الرسول ﷺ بما جاء في كتابهم التوراة عن أوصافه، تركوا التوراة وما جاء فيه كأنهم لا يعلمون مافيها عن الإسلام ورسوله ﷺ والحقيقة انهم يعلمون ولجأوا الى كتاب « آصف » وهو كاتب نبي الله سليمان عليه السلام وهو عن السحر ليواجهوا به رسول الله ﷺ فما قصة آصف وهذا الكتاب ؟ يوضح ذلك حديث الصحابي الجليل عبد الله بن عباس فيقول :

كان آصف كاتب سليمان، وكان يعلم الإسم الأعظم، وكان يكتب كل شيء بأمر سليمان ويدفنه تحت كرسيه، فلما مات سليمان أخرجه الشياطين، فكتبوا بين كل سطرين سحرا وكفرا، وقالوا : هذا الذي كان سليمان يعمل بها . قال : فأكفره جهال الناس وسبوه، ووقف علماؤهم فلم يزل جهالهم يسبونه، حتى أنزل الله على محمد ﷺ : « واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا» (١).

هذه قصة آصف وشياطين الجن، وبسبب ذلك لا يعترف بنو إسرائيل بأن سليمان بن داوود نبي بل ملك استخدم السحر لتسخير الجن والإتيان بالمعجزات التي اتى بها، وكانت هذه حجة لِيُعَلِّموا الناس السحر الذي كان نبي الله سليمان عليه السلام قد نهاهم عنه ..فكانت حجة الشياطين أن نبي الله سليمان عليه السلام نهاهم عن أن تكون لهم قوته وسطوته اللتان استمدهما من السحر ..ونحن نعرف أن بني إسرائيل في المدينة قد سحروا لرسول الله ﷺ وانقذه الله منه وعافاه بعد أن اصابه بالفعل كما جاء في حديث السيدة عائشة رضي الله عنها وارضاها :

---

(١) الراوي:المحدث : أحمد شاكر المصدر : عمدة التفسير الصفحة أو الرقم 1/143 خلاصة حكم المحدث : إسناده صحيح، وهذا موقوف من كلام ابن عباس.

سحَر النَّبيَّ ﷺ يهوديٌّ مِن يهودِ بني زُرَيْقٍ يُقالُ له : لَبيدُ بنُ الأعصمِ حتَّى كان النَّبيُّ ﷺ يُخيَّلُ إليه أنَّه يفعَلُ الشَّيءَ وما يفعَلُه حتَّى إذا كان ذاتَ يومٍ أو ذاتَ ليلةٍ دعا النَّبيُّ ﷺ ثمَّ دعا ثمَّ قال : (يا عائشةُ أشعَرْتِ أنَّ اللهَ جلَّ وعلا قد أفتاني فيما استفتَيْتُه ؟ قد جاءني رجُلانِ فجلَس أحدُهما عندَ رأسي وجلَس الآخَرُ عندَ رِجْليَّ فقال الَّذي عندَ رِجْلَيَّ للَّذي عند رأسي : ما وجَعُ الرَّجُلِ ؟ قال : مَطبوبٌ فقال : ومَن طَبَّه ؟ قال : لَبيدُ بنُ الأعصمِ قال : في أيِّ شيءٍ ؟ قال : في مُشْطٍ ومُشَاطةٍ وجُفِّ طَلْعةِ ذَكَرٍ قال : وأينَ هو ؟ قال : في بئرِ ذي ذَرْوانَ) قال : فأتاها رسولُ اللهِ ﷺ في أناسٍ مِن أصحابِه ثمَّ جاء فقال : (يا عائِشةُ فكأنَّ ماءَها نُقاعةُ الحِنَّاءِ ولكأنَّ نخلَها رؤوسُ الشَّياطينِ) فقُلْتُ : يا رسولَ اللهِ فهَلَّا أحرَقْتَه أو أخرَجْتَه ؟ قال : (أمَّا أنا فقد عافاني اللهُ وكرِهْتُ أن أُثيرَ على النَّاسِ منه شيئًا) فأمَر بها فدُفِنَتْ(١).

أما الملكان هاروت وماروت فهناك قصة شائعة عنهما في الكثير من كتب التفسير مؤكد انها من الإسرائيليات المدسوسة ولا مجال لذكرها هنا خاصة أن فضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي رخمه الله اكد كذبهافي تفسيره لسورة البقرة ولكنه في ذات الوقت لم يقدم تفسيراً لقصتهما إلا أنني اعتقد أن نزول الملكين كان ليعرفان الناس انهما يعرفان السحر ولكنهم يحذران الناس من الكفر من خلال انه صار ضرره اكثر من نفعه كالخمر والميسر خاصة بعد أن اساء الشياطين استخدامه مع اعوانهم من البشر من بني إسرائيل، كان نزول الملكين إذن لتحريم السحر نهائياً على البشر بعد اساءة استخدامه في اكثر من موقف آخرها اتهام نبي الله بأنه ليس نبي وان قدراته كان مصدرها السحر وحده كما كان شكل السحر هو سلاح موسى في العصا، مع الفارق أن موسى عليه السلام واجه اناس يمتهنون السحر ويقيموا عليه حجتهم فكان لابد أن يواجههم بنفس اسلوبهم ليبطل حجتهم، اما سليمان عليه السلام فكانت سلطته علي الجن والشياطين من الله ولحكمة الهية، لذلك سعى الشياطين للإنتقام منه بعد موته عليه السلام بتشويه صورته واستغلال تزوير اوراقه في ايذاء الناس بتعليمهم السحر

(١)الراوي : عائشة/ المحدث : ابن حبان/ المصدر : صحيح ابن حبان الصفحة أو الرقم/ ٦٥٨٣ خلاصة حكم المحدث : أخرجه في صحيحه.

مما استدعي نزول هاروت وماروت لإعلان أن السحر صار محرماً على البشر، وفي ذلك يقول العلامة الشعراوي رحمه الله في تفسيره لهذه الآية من سورة البقرة :

(إذن فالسحر لا يأتي إلا بالضرر ثم بالفقر ثم بلعنة الله في آخر حياة الساحر.. والذي يشتغل بالسحر يموت كافرا ولا يكون له في الآخرة إلا النار.. ولذلك قد اشتروا أنفسهم بأسوأ الأشياء لو كانوا يعلمون ذلك.. لأنهم لم يأخذوا شيئا إلا الضر.. ولم يفعلوا شيئا إلا التفريق بين الناس.. وهم لا يستطيعون أن يضروا أحدا إلا بإذن الله).

والله سبحانه وتعالى إذا كانت حكمته قد اقتضت أن يكون السحر من فتن الدنيا وابتلاءاتها.. فانه سبحانه قد حكم على كل من يعمل بالسحر بأنه كافر.. ولذلك لا يجب أن يتعلم الإنسان السحر أو يقرأ عنه.. لأنه وقت تعلمه قد يقول سأفعل الخير ثم يستخدمه في الشر.. كما أن الشياطين التي يستعين بها الساحر غالبا ما تنقلب عليه لتذيقه وبال أمره و تكون شرا عليه وعلى أولاده.. واقرأ قوله سبحانه وتعالى:

﴿ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾ ﴾ (١).

أي أن الذي يستعين بالجن ينقلب عليه ويذيقه ألوانا من العذاب. هذا ما استطعت أن أتوصل إليه في شأن السحر .

تنهد صديقي بارتياح وقال : فتح الله عليك، تحليل مناسب وصل الى خلاصة قاطعة بأن الإشتغال بالسحر صار حرام وان السحر يكون بالإستعانة بالشيطان، ونعود لسحرة فرعون لاشك انهم استعانوا بالشيطان في مواجهة موسى عليه السلام، فقلت : لا أظن ذلك فالشيطان لا يجرؤ على التواجد في هذا الموقف الذي يتابعه المولى عز وجل ويشرف على مايحدث فيه، ولكن لي تصور لما استخدمه سحرة فرعون في مواجهتهم لموسى عليه السلام، قال صديقي : استخدموا السحر، قلت : نعم ولكننا قلنا أن السحر تخييل وخداع للبصر. تصوري هذا قائم على معلومة علمية حديثة مؤكدة وهي أن مادة سيانيد الزئبق وهي مادة مطحونة بيضاء

---

(١)الجن.

هذه المادة اذا وضعت على العصي او الحبال واشعلت فيها النار في الهواء الطلق او في وجود عنصر الأوكسجين على وجه التحديد تتحول العصا او الحبل الى هيئة حية يختلف حجمها بحسب طول وحجم العصا او الحبل . ذهل صديقي مما سمع وقال : غير معقول، هل انت متأكد ؟ قلت : الإثبات سهل، من على الكومبيوتر ومن موقع يو تيوب اكتب حية فرعون وستجد اكثر من فيديو مصور لهذه العملية، قال صديقي : حية فرعون ؟ قلت : هذا هو الإسم الدارج للمادة . فسكت ثم قال : هل تقصد أن سحرة فرعون استخدموا هذه المادة لتحويل عصيهم وحبالهم الى هيئة حيات ؟ قلت : هذا هو الأرجح والدليل انها لم تكن تسعى فقد قال القرآن الكريم :

﴿ قَالَ بَلْ أَلْقُوا ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا ۖ إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾ ﴾ [(١)].

قلت : يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى، والخيال اتى من عملية التحول التدريجي كما سترى في الفيديو، قال صديقي : لذلك كان أول ما سألوا عنه نوع السحر الذي يأتيه موسى عليه السلام فلما قيل لهم يعمل الحيات، ظنوا أنه ساحر ولا يملك أسلوبهم المبتكر في سحر الحيات من الحبال والعصي، وبالطبع كانت مصر القديمة متفوقة في العلوم الكيميائية وعرفوا منها هذه المادة العجيبة، قلت : ولذلك امر الله موسى عليه السلام بسرعة القاء عصاه لتصبح حية كبيرة تسعى بسرعة لتلقف الحيات الوهمية، وهنا أدرك السحرة أن مايحدث أمامهم ليس بسحر كسحرهم ولكنه معجزة لايقدر عليها الا رب العالمين لذلك لم يترددوا كلهم اياً كان عددهم في السجود الفوري كما أوضحت هذه الآيات بل وتماسكوا امام تهديدات فرعون وواجهوه بقوة وذهبوا لمصيرهم راضين مؤمنين .

---

(١)طه.

قال صديقي باسماً بعد لحظات صمت لإستيعاب كل ماقيل : لقد ابتعدنا بعض الشئ عن موسى عليه السلام وما حدث له بعد زوال غمة القُمَّل وماكان هامان قد وعده به من ارسال بني إسرائيل معه. قلت : نعم

ذهب موسى عليه السلام وطلب مقابلة هامان وانتظر ساعة حتى جاءه الرد أن فرعون يطلبه عصر الغد في الساحة الكبيرة ومعه كل بني إسرائيل، فعاد موسى عليه السلام لقومه واستدعى هارون عليه السلام وواجه قومه بأمر لقاء الغد واخبرهم انه لقاء نهائي بأمر الله، وتعجب احد الحكماء من تحديد الموعد في صباح الغد وليس بعد الغد وهو يوم الزينة المعتاد ؟ وتأمل موسى عليه السلام في هذا السؤال المنطقي وقال هارون عليه السلام: ربما لايريد فرعون تعكير صفو هذا الاحتفال المقدس بالتصادم مع موسى كما حدث منذ ثلاث سنوات ..ثم نطق موسى عليه السلام وكأنه يتكلم بغير لسانه : وربما لأن يوم الزينة سيكون له شأن آخر هذا العام . ثم التفت إلى قومه :

﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوۡمِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيۡهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسۡلِمِينَ ﴿٨٤﴾ فَقَالُواْ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡنَا رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا فِتۡنَةٗ لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَجِّنَا بِرَحۡمَتِكَ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾[1].

لاشك أن هذا القول جاء من حكماء بني إسرائيل الذين لا يزالون يذكرون الله .

وفي صباح اليوم المحدد تواجه موسى ومن خلفه هارون عليهما السلام ثم قومهما، وعلى الجانب الآخر كان آل فرعون جميعاً.. دون الشعب، وجنوده وجنود هامان الذي وقف خلف فرعون في رضا ينظر الى موسى عليه السلام بسعادة المنتصر، فقال موسى عليه السلام : في كل محنة تمر بكم كنتم تطلبون مني أن ادعو ربي ليزيح عنكم الغمة على وعد أن ترسلوا معي بني إسرائيل وعندما يستجيب لكم الله تنكثون بوعدكم ..سبع مرات تكرر هذا الأمر وكان آخرهم الدم ثم القُمَّل وقد وعدني هامان وتعهد بإرسال بني إسرائيل معي وها قد زالت غمة القُمَّل وأطالبك ياهامان بالإلتزام بوعدك فقد انقضى موسم الحصاد، أرسل معي بني إسرائيل .

---

(١)يونس.

فقال هامان : لم يكن لدي مانع ولا للفرعون الإله في ارسال بني إسرائيل معك لولا أننا أشفقنا عليهم ورأينا إنقاذهم . قال موسى عليه السلام : مم تنقذهم ؟ قال هامان : منك يا موسى ومن سحرك . لقد سألتك اين ستذهب بهم قلت لم يخبرني ربي بعد، نخرج اولاً ثم يخبرني، واذا لم يخبرك ربك ماذا سيفعلون قال موسى عليه السلام : لا شأن لك هم يثقون في ربي وربهم . قال هامان : ربهم هو فرعون وهم يعبدونه برضا منذ سنوات فمن اين لهم بربك ليثقوا به ؟ صدم موسى عليه السلام من رد هامان ونظر لقومه لائماً، فرد احد الحكماء : كنا مكرهين على عبادة فرعون خوفاً من بطشه وبطش جنوده ولكننا كنا في يقيننا نعبد الله إلهنا واله أجدادنا إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ونحن له مسلمون . استرد موسى عليه السلام ثباته بهذا الرد وقال : هاقد سمعتم بأنفسكم وهم يثقون بربهم انه سيهديهم للطريق الصحيح حين يخرجون . ثم أردف هارون عليه السلام لقد خسف الله بقارون وبداره الأرض وهو كان حليف فرعون فلماذا لم ينقذه فرعون بقدرته الإلهية ؟ او يعيده تارة اخرى ؟.. بُهِتَ الكفار وعجزوا عن الرد

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾ ﴾[1].

وارتجت الساحة من اجتراء موسى عليه السلام في القول على فرعون وتحفز الجنود للفتك به ولكن فرعون اشار لهم بالهدوء ﴿ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ ﴾[2].

ثمَ قالَ : ﴿ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ ﴾

﴿ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَآ أُلْقِىَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾ فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ .

---

(١)الإسراء
(٢)الزخرف.

وامر فرعون موسى عليه السلام بالإنصراف والخروج هو واخيه من مصر كلها في ذات الليلة ، وهدده لو شوهد احدهما في صباح اليوم التالي فسيقتل فوراً، واقترح عليه هامان أن يراقبه هو واخيه حتى يخرجا فرفض في ثقة وغرور وقال : دعهما فوقتما واينما يشاهدان سيقتلا . ثم دعا آله وجنوده للدخول الى القصر للاجتماع والتشاور، بينما انصرف موسى وهارون عليهما السلام وقومهما من الساحة سريعاً خوفاً من غدر فرعون ولينتظر موسى عليه السلام الوحي الإلهي بما يفعله .

وفي القصر الفرعوني، سأل فرعون آله وجنوده عن رأيهما فيما يجب عمله بعد ماحدث من امور عجيبة جعلت البعض يؤمن به حتى من غير بني إسرائيل:

﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ ٱقْتُلُوٓا۟ أَبْنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ وَٱسْتَحْيُوا۟ نِسَآءَهُمْ ۚ وَمَا كَيْدُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿٢٥﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٦﴾ ﴾[1].

وفي مدينة بني إسرائيل كان موسى عليه السلام مع قومه في لقاء لا يقل اهمية عن لقاء فرعون وملأه، وكأنه عرف من جبريل الأمين بنية فرعون الغدر به وقتله

﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٧﴾ ﴾[2].

﴿ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾[3]وجاءه الوحي بالقرار الإلهي ﴿ فَأَسْرِ بِعِبَادِى لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾[4].

---

(١)غافر.
(٢)غافر.
(٣)الدخان.
(٤)الدخان.

فأمر قومه أن يستعدوا للخروج من مصر ليلاً في ستار ليلة الاحتفال بيوم الزينة المقدس، همهم القوم رعباً ولكن موسى عليه السلام حسم الأمر بقوله : هذا امر من الله وليس امري . فأذعنوا مكرهين، ولم يخبرهم انهم متبعون لأنه لو اخبرهم لما تحركوا من الرعب. وكان بينهم السامري الذي اختفى منذ بدأت الآيات اي من بعد يوم الزينة وهلاك قارون ولكنه كان يراقب الأحداث عن كثب .

وعلى الجانب الآخر كان الإجتماع لا يزال مستمراً صاخباً وحاسماً في قصر فرعون بين فرعون وآله وملأه من هامان وقائد الجند واتخذ فيه قراراً خطيراً بقتل موسى وهارون عليهما السلام:

﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَـٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَـٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ يَـٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَـٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا ۚ قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ ﴾ .

كان هذا مايرى فرعون انه يفعله بآله، يهديهم سبيل الرشاد، ولكن الواقع هو ما جاء في سورة طه :

﴿ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾ ﴾

ويواصل مؤمن آل فرعون محاولاته الحقيقية لهدايتهم لسبيل الرشاد الحق :

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَـٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴿٣١﴾ وَيَـٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ يُجَـٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَـٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۖ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾ ﴾

وكأن فرعون لا يسمع شئ فقد طمس الله على قلبه :

﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَـٰهَـٰمَـٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَـٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَـٰبَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَـٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَـٰذِبًا ۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ ﴿٣٧﴾ ﴾[1].

ولكن الرجل المؤمن لم ييأس من نصح فرعون وقومه من آل فرعون لعلهم يهتدون او يرشدون :

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَـٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَـٰقَوْمِ إِنَّمَا هَـٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَـٰعٌ وَإِنَّ ٱلْـَٔاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾ ۞ وَيَـٰقَوْمِ مَا لِىٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِىٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾ تَدْعُونَنِى لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّـٰرِ ﴿٤٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَلَا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٤٣﴾ فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ ۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٤٤﴾ ﴾[2].

كان هذا هو الإنذار الأخير لفرعون وآل فرعون من رجل منهم ليرتدعوا، ولكنهم أصروا على موقفهم من موسى عليه السلام وبيتوا النية على قتله هو وأخيه أثناء خروجهم من مصر وحدهما كأمر فرعون، وعلى مسافة من مدينة بني إسرائيل، حتى لايعرف احد بما حدث لهما ويظن الجميع انهما خرجا من مصر كما سبق أن خرج كل منهما على حدا. وقد كلف هامان قائد جنده باختيار ثلاثة من جنوده الأكفاء ليكمنوا لموسى وهارون عليهما السلام بعيداً عن مدينة بني إسرائيل وقرب البحر ليقتلوهما ويلقون جثتيهما في البحر حتى يختفي اي اثر لهما تماماً..البحر كان مخططاً من هامان أن يكون مثوىً لموسى وهارون عليهما السلام بالتآمر والغدر، ولكنه سيصير مثوى المتآمرين.

(١)غافر.
(٢)غافر.

وعلى الجانب الآخر كانت استعدادات بني إسرائيل للخروج قائمة على قدم وساق وحرصوا على أن يحملوا معهم كل ما يخصهم مهما كانت قيمته، فهم لن يتركوا اي شئ خلفهم . وشاركهم السامري الاستعداد للخروج معهم مظهراً السخط على فرعون وشركه بالله، فوافق موسى عليه السلام على استثناءه بعد إلحاح الكثير من بني إسرائيل . هنا اجتمع السامري سراً مع بعض الخارجين ورسم لهم خطة شيطانية تداولوها فيما بينهم بسرعة، فقد توجهت كل امرأة وفتاة من بني إسرائيل الى امرأة مصرية كانت تعرفها واستئذنتها في أن تقترض منها بعض حليها لكي ترتديها يوم الزينة ثم تردها لها، فرحبن المصريات واجذلن العطاء لهن تعاطفاً معهن لكي يظهرن بمظهر لائق في يوم الزينة عكس كل عام، حتى تجمع لبني إسرائيل حملاً مذهلاً من الحلي والذهب من المصريات، حملاً ناءوا بحمله طوال الطريق، وكما سمح بعمل عجلاً ذهبياً . فهل هناك دليل اكبر من هذا على احتقار المصريين لبني إسرائيل وكرههم لهم؟ سبحان الله. ومع بدايات الليل وبدء احتفالات ليلة يوم الزينة ووسط الضجيج والصخب تحرك شعب بني إسرائيل بقيادة الرسولين موسى وهارون عليهما السلام، يقول المولى عز وجل :

﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِىٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾[١].

فأمر الله موسى عليه السلام بالخروج بقومه فخرج بهم ليلاً[٢].

لأن أسر تعني ليلاً لأن سرى تعني تحرك في جنح الظلام.

ولم يكن عددهم كبير ولكن احمالهم ثقيلة وتردد أغلبهم أثقل وبينهم السامري يفكر كيف يصل لهدفه النهائي باغواء هذا الشعب وإفساد مهمة موسى الإلهية. هو يوقن الآن أن الخروج سيحدث لأن الله قرر ذلك ولكن المهم ماسيحدث بعد الخروج . لقد زرع بداخلهم جيداً فكرة الإله المجسد المرئي وهم لديهم الإستعداد الفطري لقبول هذه الفكرة، فعليه أن يواصل إفسادهم وتذكيرهم بهذه الفكرة وانتهاز اي فرصة لإشعال الخلافات بينهم وبين موسى عليه السلام وبالتبعية مع الله عز وجل. كان هذا هو مايدور بخلد السامري منذ أن تحركوا في بداية رحلة الخروج .

---

(١)الشعراء.
(٢)الراوي : عبدالله بن عباس المحدث : البوصيري المصدر: إتحاف الخيرة المهرة الصفحة أو الرقم 6/234:خلاصة حكم المحدث: إسناده صحيح.

وفي قصر الفرعون كان فرعون يتنفس الصعداء ويشعر بالإرتياح بعد انتهاء المحنة الشديدة التي هددت سلطته الإلهية والتي دامت اكثر من ثلاث سنوات، سيتخلص من موسى وهارون وسيبقى بنو إسرائيل في مصر ليواصلوا مهامهم في خدمته ويعودوا لطاعته التي داوموا عليها عقود من الزمان ولعبادته التي اخلصوا فيها اكثر من عشر سنوات قبل أن يظهر موسى بسحره، ولعله كان في قرارة نفسه يرى أن انتصاره هذا يدل على قدرته الإلهية، فالإله الحق هو الذي ينتصر في النهاية..من هنا هدأ وبدأ يتفرغ لزوجته التي قصر معها لفترة طويلة ليعوضها عما فات.

وفي رحلة الخروج السرية، كان بنو اسرائيل يتباطأون في السير في شبه تمرد وسخط واجبار من البعض ومن ثقل وكم المتعلقات ومنها الحلى المسروقة، مما اثار غضب موسى عليه السلام وصار يحثهم على الحركة بسرعة فهو يعرف من الله انهم متبعون ولا يريد أن يخبرهم خوفاً من فزعهم الذي قد يؤدي الى عودتهم لمصر مرة اخرى، وكان هارون عليه السلام يهدئ من ثورة أخيه موسى عليه السلام ويحاول اقناع المتكاسلين بالإسراع دون جدوى .

اما الجنود الذين كلفوا بقتل موسى وهارون عليهما السلام فقد انستهم الإحتفالات مهمتهم ثم تذكروا بعد ساعات، فاسرعوا خلفهما لقتلهما ففوجئوا بأن بني إسرائيل كلها خرجت معهما، وبذلك يستحيل عليهم تنفيذ المهمة الموكلة اليهم وسط هذا الجمع الغفير فلم يكن امامهم الا الإسراع بإبلاغ قائدهم والذي بدوره اسرع بإبلاغ هامان الذي سارع وقد انبلج الصباح لإيقاظ فرعون من نومه المطمئن لإنتهاء محنة موسى واخيه، فلاشك أن الجنود قتلوهما الآن، يقول الحديث الشريف :

فلما أصبح فرعون ورأى أنهم قد مضوا، أرسل في المدائن حاشرين، فتبعهم بجنود عظيمة كثيرة(١)

(١)الراوي : عبدالله بن عباس المحدث : البوصيري المصدر: إتحاف الخيرة المهرة الصفحة أو الرقم ٦/٢٣٤ خلاصة حكم المحدث: إسناده صحيح.

وتوضح آيات سورة الشعراء تفاصيل ما حدث بعد أن ابلغوا فرعون بخروج بني إسرائيل مع موسى وهارون عليهما السلام وحددوا له اتجاه خروجهم :

﴿ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾[١].

وقد نتساءل كيف يقول الله اورثناهم مصر وهم خارجين من مصر كما أن مصر ليست ارضهم ليرثوها ؟

ولكن المعنى هنا أن الله أورثهم أرضاً مثلها ، قد وعدهم بها في الشام.

وعلى الجانب الآخر واصل بنو إسرائيل المسير المتكاسل غير الموجه، ولعل موسى عليه السلام اتجه بهم الى الطريق الذي يعرفه وسار فيه في طريقه الى مدين وهو طريق القطاع الأوسط في سيناء الآمن بدروبه التي تاه فيها موسى عليه السلام في طريق عودته لمصر ..هذا هو الطريق الآمن الذي كان يعرفه موسى عليه السلام آنذاك وهم متبعون من فرعون وجنوده . كان ذلك طريقه قبل أن يأتيه الوحي بطريق اخر:

﴿ وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًاۖ إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾[٢].

ورهواً اي ساكنـًا، وهذا هو حال البحر المقصود هنا وهو خليج السويس ذو المياه الهادئة نظراً لقلة عرض وعمق مجراه . تحرك موسى عليه السلام وبنو إسرائيل اذن تجاه البحر مما اثار تساؤل واحتجاج المشاغبين منهم، فماذا سيفعلون عند البحر وليس لديهم سفن ليستقلونها ؟ ولاشك أن بعضهم احتج واضرب عن السير مما عطل المسير . وعلى الجانب الآخر تجمع جند كثيف لفرعون ومعه هامان عند الظهر وبدأ التحرك السريع وكانت المهمة قتل موسى وهارون عليهماالسلام واجبار بني إسرائيل على العودة على أن يعاقبهم فرعون بعد ذلك .. وتحرك الجيش بسرعة كبيرة في اتجاه البحر كما قال الجند الذين فشلوا في قتل الأخوين .

(١)الشعراء.
(٢)الدخان.

وفـي قافلـة بنـي إسـرائيل اضـطر موسـى عليـه السـلام ازاء تقاعسـهم أن يخبرهم بمـا اخبـره بـه الله بـأنهم متبعون مـن جيش فرعون فارتعدت مفاصلهم وبدأوا يسرعون في السير ويدركون أن تكاسلهم السابق سيمكن الجيش من اللحـاق بهم قبل وصـولهم لشـاطئ البحـر كمـا امـرهم الله، لـذلك فعلـيهم تعويض مـا فـات بالحركة السريعة ولكن مع تمسكهم بكافة متعلقاتهم. شاهدوا عن بعد شاطئ البحر فاستبشروا ثم شاهدت مؤخرتهم مقدمات جيش فرعون فصرخوا رعبا واخذوا يصرخون في موسى عليه

السلام اين ربك لينقذنا ؟ فيحثهم علـى مواصلة السير . ثم ادركوا انهم حتى لو وصلوا لساحل البحر فماذا سيفعلون والبحر امـامهم وجـيش فرعـون ورائهـم ؟ وفكـر الـبعض فـي الرجـوع واستعطاف فرعون واظهـار الندم والطاعـة ولا مـانع من اتهـام موسى عليه السلام انه اجبرهم على الخروج بسحره هو واخيـه، وربمـا فعـل ذلـك الـبعض مـن مؤخـرة القافلـة فلمـا قـتلهم جـيش فرعون اسرع الباقون باللحاق بقومهم حتى وصل الجميع شاطئ البحر واقترب منهم جداً جيش فرعون :

﴿ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلۡجَمۡعَانِ قَالَ أَصۡحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدۡرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ ﴿٦٢﴾ ﴾ (١).

لاحظ ياصديقي ماذا قال نبي الله ..ان معي ربـي، لم يقل أن الله معنا كما قال رسولنا الكريم لرفيق هجرته ابي بكر الصديق

﴿ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ ﴾ (٢).

وهذا القول من موسـى عليـه السلام لأن بنو إسرائيل كـانوا يخاطبونـه بقـولهم « ربـك » كأنـه لـيس ربهـم هـم ايضـاً، ففـي الحديث الشريف الذي اوردناه عندما اقترب جيش فرعون من قوم موسى عليه السلام قالوا :

قال أصحاب موسى : إنـا لمدركون، افعل مـا أمـرك بـه ربـك (٣).

---

(١) الشعراء.
(٢) التوبة : ٤٠.
(٣) الراوي : عبدالله بن عباس المحدث : البوصيري المصدر : إتحاف الخيرة المهرة الصفحة أو الرقم 6/234:خلاصة حكم المحدث :إسناده صحيح.

اي انهـم كــانوا يخاطبونـــه كمــا كــان يخاطبــه آل فرعــون وفرعون

﴿ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ قَالُواْ يَـٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ ۖ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ (١).

ولم يخذله ربه، لا مع قومه ولا مع فرعون وآله، ففي ذاك الموقف الحرج ذكره جل وعلا بما امره بـه من قبل حين يصل ساحل البحر

﴿ فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَـٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾ ﴾ (٢).

ويعطينا الحديث الشريف تفاصيل كاملة لما حدث فيقول :

وأوحى الله عز وجل إلي البحر أن إذا ضربك موسى بعصاه فانفرق له اثنتي عشرة فرقة، حتى يجوز موسى عليه السلام ومن معه، ثم التئم على من بقي بعد من فرعون وأشياعه، فنسي موسي عليه السلام أن يضرب البحر بالعصا فانتهى إلى البحر وله قصيف (صوت البحر الهائج) مخافة أن يضرب به موسى عليه السلام، وهو غافل فيصير عاصيا الله عز وجل، فلما تراءى الجمعان وتقاربا، قال أصحاب موسى عليه السلام : إنا لمدركون، افعل ما أمرك به ربك عز وجل، فانك لم تكذب ولن تكذب، فقال : وعدني ربي عز وجل إذا أتيت البحر انفرق لي اثنتي عشرة فرقة حتى أجاوزه، ثم ذكر بعد ذلك العصا فضرب البحر بعصاه حين دنا أوائل جند فرعون من أواخر جند موسى عليه السلام، فانفرق البحر كما أمره الله عز وجل وكما وعد موسى عليه السلام(٣).

﴿ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ (٤).

---

(١)الأعراف.
(٢)طه.
(٣)الراوي : عبدالله بن عباس المحدث : البوصيري المصدر : إتحاف الخيرة المهرة الصفحة أو الرقم ٦/٢٣٤ خلاصة حكم المحدث :إسناده صحيح.
(٤)الشعراء.

الحديث الشريف يؤكد أن البحر لم ينفرق فرقة واحدة بل اثنتي عشرة فرقة، وهذا مطلوب ومنطقي لسرعة عبور بني إسرائيل من ناحية ولتشتيت جيش فرعون في الطرق المختلفة من ناحية اخرى، والعدد مرتبط بعدد اسباط بني إسرائيل وهم احفاد الأبناء الإثنا عشر ليعقوب.

ويكمل الحديث الشريف القصة فيقول :

فلما أن جاوز موسى عليه السلام وأصحابه البحر ودخل فرعون وأصحابه، التقى عليهم البحر كما أُمِرَ(١)

واود أن اشير الى أن ما قلناه في تحليلنا لشخصية فرعون من اهتزاز مع جنون عظمة يتأكد هاهنا، فلو كان على اي قدر من الإتزان لوقف امام هذا الحدث غير المنطقي وهو انشقاق البحر لإثني عشر طريقاً وفكر في انها معجزة ورائها شئ فتراجع ولكن غروره صور له انه يمكن أن يعبره كما عبره بنو إسرائيل، لم يدرك الحكمة إلا متأخراً .

﴿ وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتۡبَعَهُمۡ فِرۡعَوۡنُ وَجُنُودُهُۥ بَغۡيٗا وَعَدۡوًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدۡرَكَهُ ٱلۡغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ عَصَيۡتَ قَبۡلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٩١﴾ ﴾ (٢).

ويكمل الحديث الشريف وصف الموقف النهائي :

لَمَّا أَغْرَقَ اللهُ فرعونَ قال : آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إسرائيل . فقال جِبْرَئِيلُ : يا مُحَمَّدُ لو رَأَيْتَنِي وأنا آخُذُ مِنْ حَالِ (طمي) البحرِ وأَدُسُّه في فِيهِ مَخَافَةَ أن تُدْرِكَهُ الرحمةُ(٣)

كان آل فرعون يعيشون في نعمة وسعادة ورخاء وكان لفرعون حكم اعظم بلاد زمانه بل اغلب الأزمنة ومكنه الله من تحقيق امجاد عظيمة لبلاده ولنفسه في التشييد والبناء ولكنه وآله ظلموا انفسهم وغرهم بالله الغرور فكفروا بالنعمة فخسروا هم فقط كل شئ

---

(١)الراوي : عبدالله بن عباس المحدث : البوصيري المصدر : إتحاف الخيرة المهرة الصفحة أو الرقم ٦/٢٣٤ خلاصة حكم المحدث :إسناده صحيح.

(٢)يونس.

(٣)الراوي : عبدالله بن عباس المحدث : الترمذي المصدر : سنن الترمذي الصفحة أو الرقم 31.7 :خلاصة حكم المحدث : حسن.

فانطبق عليهم قول المولى عز وجل حين قال في سورة الأنفال :

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمۡ يَكُ مُغَيِّرٗا نِّعۡمَةً أَنۡعَمَهَا عَلَىٰ قَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴿٥٣﴾ ﴾ الأنفال.

﴿ كَمۡ تَرَكُواْ مِن جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٖ وَمَقَامٖ كَرِيمٖ ﴿٢٦﴾ وَنَعۡمَةٖ كَانُواْ فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَۖ وَأَوۡرَثۡنَٰهَا قَوۡمًا ءَاخَرِينَ ﴿٢٨﴾ فَمَا بَكَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَا كَانُواْ مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَقَدۡ نَجَّيۡنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ مِنَ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡمُهِينِ ﴿٣٠﴾ مِن فِرۡعَوۡنَۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيٗا مِّنَ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدِ ٱخۡتَرۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ عِلۡمٍ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٣٢﴾ وَءَاتَيۡنَٰهُم مِّنَ ٱلۡأٓيَٰتِ مَا فِيهِ بَلَٰٓؤٞاْ مُّبِينٌ ﴿٣٣﴾ ﴾ .

اما بنو إسرائيل فلم تغير المعجزة التي شاهدوها وانقذتهم من فرعون وجيشه، من تشككهم في قدرة الله والتي لايزالوا عليها حتى الآن، فيوضح الحديث الشريف :

فلما جاوز موسى عليه السلام البحر قال أصحابه : إنا نخاف أن لا يكون فرعون قد غرق، ولا نؤمن هلاكه، فدعا ربه عز وجل فأخرجه له بيديه حتى استيقنوا بهلاكه.

﴿ فَٱلۡيَوۡمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنۡ خَلۡفَكَ ءَايَةٗۚ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنۡ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾ .

هنا هدأت بنو إسرائيل وتنفسوا الصعداء، وتبادلوا نظرات الإرتياح للنجاة، ولكن بعضهم لاحظ سلوكيات غريبة للسامري، فقد كان يراقب بعينيه وبإهتمام حدث خفي يحدث قرب البحر اثناء غرق فرعون وجيشه، فلم يكن احد يرى شيئاً في اتجاه نظر السامري، وعندما خرجت جثة فرعون من البحر انشغل بها الجميع واستغل السامري هذه الفرصة واسرع الى شاطئ البحر وعند منطقة معينة واخذ بيده بإهتمام شديد وانتقاء قبضة من الرمال كبيرة ووضعها بعناية شديدة في قارورة كبيرة ثم اغلق القارورة بإحكام واخفاها في أعماق ملابسه ثم عاد الى الجمع ولم يره الا قلة من بني إسرائيل تعجبوا من تصرفه ولكنهم لم يهتموا كثيراً، فكم رأوا من هذا السامري تصرفات غريبة غير مفهومه، كما انهم مشغولون اكثر بفرحة النجاة ولكن المشهد لم يفارق مخيلتهم.

* * *

ابتسم صديقي وهو يقول : انتهت رواية موسى وفرعون اذن، قلت : نعم الحمد لله، فقال : هناك نقطتان لابد أن نثيرهما لكي تكتمل الصورة، قلت: ماهما ؟ قال : هذا الرجل المؤمن من آل فرعون الذي كان يخفي ايمانه يؤكد أن شعب مصر لم يكن وحده الرافض لتأليه فرعون، بل أن حتى آله لم يكونوا كلهم مرحبون بذلك فتصريح الآية الكريمة بوجود فرد رافض سراً لهذا الوضع الشاذ في تاريخ مصر القديمة وحكامها الفراعنة يؤكد أن هناك غيره على نفس حاله لا يعلم عددهم الا الله، المهم انه ليس كل آل فرعون وافقوه على كفره.

والمتأمل في عبارات هذا الرجل المؤمن الذي يخفي ايمانه يجد فيها معان وصيغ من الصحف السماوية، تأمل معي قول الله تعالى في سورة غافر :

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ كَذَّابٞ ﴿٢٨﴾ يَٰقَوۡمِ لَكُمُ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَ ظَٰهِرِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأۡسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا﴾ [غافر:٢٨، ٢٩].. وتأمل ايضاً قوله :

﴿وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُم مِّثۡلَ يَوۡمِ ٱلۡأَحۡزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثۡلَ دَأۡبِ قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمٗا لِّلۡعِبَادِ ﴿٣١﴾﴾.

المعنى الجلي من هذه الآيات أن هذه القصة تالية لما اصاب اقوام نوح وعاد وثمود ومن بعدهم، وهم مثلاً قوم لوط وقوم مدين وغيرهم ممن لم يقص علينا القرآن قصصهم:

﴿وَرُسُلٗا قَدۡ قَصَصۡنَٰهُمۡ عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُ وَرُسُلٗا لَّمۡ نَقۡصُصۡهُمۡ عَلَيۡكَۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ﴿١٦٤﴾﴾ (١).

وأخيرًا قوله :

﴿وَيَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ يَوۡمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوۡمَ تُوَلُّونَ مُدۡبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٖۗ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ ﴿٣٣﴾﴾.

---

(١)النساء.

وقد يظن البعض أن هذا الرجل يعلم الغيب ويتنبأ بما حدث بالفعل لآل فرعون ولكن الأقرب للمنطق أن يتوقع أن يحدث لآل فرعون ما حدث بشكل عام للأقوام الذين ضرب امثال لهم..وأخيرًا تأمل معي هذه الآيات على لسان مؤمن آل فرعون

﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ مُّرۡتَابٌ ٣٤ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡۖ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلۡبِ مُتَكَبِّرٖ جَبَّارٖ ٣٥﴾.

ثم قوله : ﴿يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا مَتَٰعٞ وَإِنَّ ٱلۡأٓخِرَةَ هِيَ دَارُ ٱلۡقَرَارِ ٣٩ مَنۡ عَمِلَ سَيِّئَةٗ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَاۖ وَمَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ يُرۡزَقُونَ فِيهَا بِغَيۡرِ حِسَابٖ ٤٠﴾.

الا تجد فيها من معاني آيات صحف ابراهيم وموسى التي اوردتها سورة الأعلى وكذلك من عبارات موسى عليه السلام في مواجهته الأولى مع فرعون ؟ قلت : بلا شك . مما يدل على انه قد اطلع على صحف ابراهيم عليه السلام والتي كانت مع بني إسرائيل ومن قبلهم مع يوسف ويعقوب عليهما السلام.

قلت : ولم لايكون قد اطلع على صحف ادريس عليه السلام الثلاثين والتي حفظها المصريون القدماء واسموها كتاب الموتى، رغم انها نزلت قبل طوفان نوح عليه السلام، ولكن تمسك المصريين بالإيمان بالله وعقيدة البعث جعلهم يحافظون على هذه الصحف المقدسة ويحفظونها فيما اسموه بكتاب الموتى لأن مادة الكتاب عما سيحدث بعد الموت وعند الحساب، فقال صديقي بحماس : اوافقك تماماً . قلت وانا سعيد بتفاعل صديقي الكبير مع الرواية : هذه نقطة رائعة والثانية ؟ قال صديقي : آيات سورة الدخان:

﴿إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾ كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ ۖ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿٢٨﴾ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿٣٠﴾ مِن فِرْعَوْنَ ۚ إِنَّهُ كَانَ عَالِيًا مِّنَ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣٢﴾ وَآتَيْنَاهُم مِّنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُّبِينٌ ﴿٣٣﴾﴾.

قال صديقي : ﴿كَذَٰلِكَ ۖ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿٢٨﴾﴾ ، ثم ﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿٣٠﴾﴾ .

اذن هناك حالتان، ندم جند فرعون على ماتركوا في مصر من نعيم لم يحمدوه فأورث الله هذا النعيم لقوم آخرين ..من هم ؟ وبعد ذلك نجاة بني إسرائيل من العذاب المهين واختيار الله لهم على علم، على العالمين

قلت بهدوء : الجنود خرجوا من جنة مصر ليرثها قوم آخرون مؤمنون ويستحقون هذه الجنات التي استأثر بأغلبها هؤلاء الجنود وآل فرعون، وشعب مصر بل والبعض من آل فرعون كانوا مؤمنين، فالمنطقي انهم هم من ورثوا مصر لأنهم اهلها وعادوا لعقيدتهم الفطرية السابقة وعاد الفرعون التالي للطريق القويم واستقرت الأحوال في مصر انتظاراً لأن تصلهم الشريعة المتكاملة، والتي اختار الله بني إسرائيل لكي يحملو امانة تبليغها والعمل بها .. اختارهم دون عالمين زمانهم ونجاهم من عذاب فرعون، لأنهم من ذرية ابراهيم عليه السلام الذي جعله الله للناس اماماً وطلب عليه السلام أن تكون من ذريته ائمة للناس

﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴿١٢٤﴾﴾ (١).

(١)البقرة.

وذرية ابراهيم كانت من اسماعيل واسحاق، وهذه ذرية اسحاق يعطيها الله فرصة تلقي التشريع الأول وتبليغه للمشركين من العالمين، ووعدهم مملكة في الشام تنطلق منها دعوتهم الإيمانية..كما ذكرنا في تفسير قوله عز وجل : ﴿ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ ﴾[1].

بقي اذن شعب مصر على ايمانه الفطري حتى جاءه اول تشريع الهي متكامل وهو القرآن الكريم، والدليل أن نبي الله سليمان عليه السلام الذي فرض التوحيد بالله على عالمه حتى وصل للهند والصين واليمن لم يقترب من مصر لأنها مهيأة لدعم دين آخر هو الدين الخاتم وكان ايمانها كافياً فلم يقترب منها ..واعتقد انه ليس في قدر الله أن يعود بنو إسرائيل لمصر مرة اخرى بشكل مؤثر .

قال صديقي بعد تفكير : كأن مهمة موسى عليه السلام لم تكن انقاذ بني إسرائيل فقط من طغيان فرعون وآله وجنوده فقط، بل وانقاذ شعب مصر ايضاً من نفس المصير ..انه موقف الهي متفرد اختص به شعب مصر دون الشعوب والأمم السابقة واللاحقة، قلت متعجباً : فيم تفكر ياصديقي ؟ قال بهدوء من يُجَمِّع افكاره : كل الأقوام التي جحدت بآيات الله حين جاء موعد عقابها الصاعق خرج المؤمنون مع نبيهم من نطاق القرية الظالمة قبل وقوع عقابها ثم عادوا بعد انتهاء العقاب ..حدث هذا مع قوم نوح ثم عاد ثم ثمود وسدوم قرية نبي الله لوط وغيرهم ولكن في حالة شعب مصر استدرج المولى فرعون وجنوده الى البحر خارج حدود مدن مصر المأهولة واغرقهم دون أن يتأثر شعب مصر او يغادر مكانه، قلت : صحيح، قال صديقي بنفس الأسلوب المتأني : وهناك امر آخر يؤكد المكانة الخاصة لشعب مصر في هذه القصة، فالآيات السبع التي انذر بها الله آل فرعون لا تقارن بما اصاب الله به الأقوام السابقة لا في نوعيتها ولا في تأثيرها ولا في مداها الزمني.

---

(١)الشعراء.

وهذا يدل على أن الله عز وجل كان رحيماً حتى بآل فرعون فلم يرسل عليهم صاعقة كاسحة الا بعد أن انذرهم المولى سبع مرات لعلهم يرجعون ويتوبون، بل وكان في تباين تأثير كل إنذار بين شعب مصر وآل فرعون معجزة واشارة في حد ذاته وتنبيه مبهر ولكن للأسف لم يرتدع آل فرعون بل تمادوا في غيهم فاستحقوا العقاب وحدهم بل وحاق العقاب بالمشركين منهم فقط دون المؤمنين، واذا كان عقاب فرعون وجنوده الغرق فإن عقاب مشركي آل فرعون في موقفهم الضعيف وقد هلك عنهم من كان يحميهم واعتقد انهم عادوا لجادة الصواب بعدما علموا بغرق فرعون وجنوده وظل حكم الفرعون التالي له .. العقاب كان على شخص فرعون وليس مصر كلها بشعبها والدليل قوله تعالى في سورة الفجر :

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ۝٧ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَـٰدِ ۝٨ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ۝٩ وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ۝١٠ ﴾.

كما ترى تقول الآيات «عاد» و«ثمود» بأسماء الأقوام ولكن فرعون ذُكِرَ باسمه وليس بإسم قومه، شعب مصر استفاد من رسالة موسى عليه السلام اكثر من بني إسرائيل وكأنه كان عليه السلام مرسل لشعب مصر.

قال صديقي : الفكرة اذن مطروحة ومقنعة، موسى عليه السلام خرج ببني إسرائيل من مصر لينقذ شعب مصر منهم، فأكملت : ولكي يختبرهم الله فيما كان عز وجل سيكلفهم به من مهمة مقدسة، لقد انقذهم الله من الفرعون الوحيد الذي كفر بالله في تاريخ فراعنة مصر ليقوموا بدورهم التاريخي فهل قاموا به.لقد خرجوا من مصر.

﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ ۝١٣٧ ﴾[1].

وبدأوا يتسائلون، ماذا سيكون مصيرنا وحالنا ..بعد الخروج ؟

تمت بحمد الله

(١)الأعراف.

الفهرس

المقدمة ٣
المدخل ٤
الفصل الأول : الزلزال وتوابعه ٥
الفصل الثاني : الهروب ٣٤
الفصل الثالث: فرعون ٦٠
الفصل الرابع : موسى والسحر ٨٤
الفصل الخامس : الخروج ١١٢
الفهرس ١٣٧